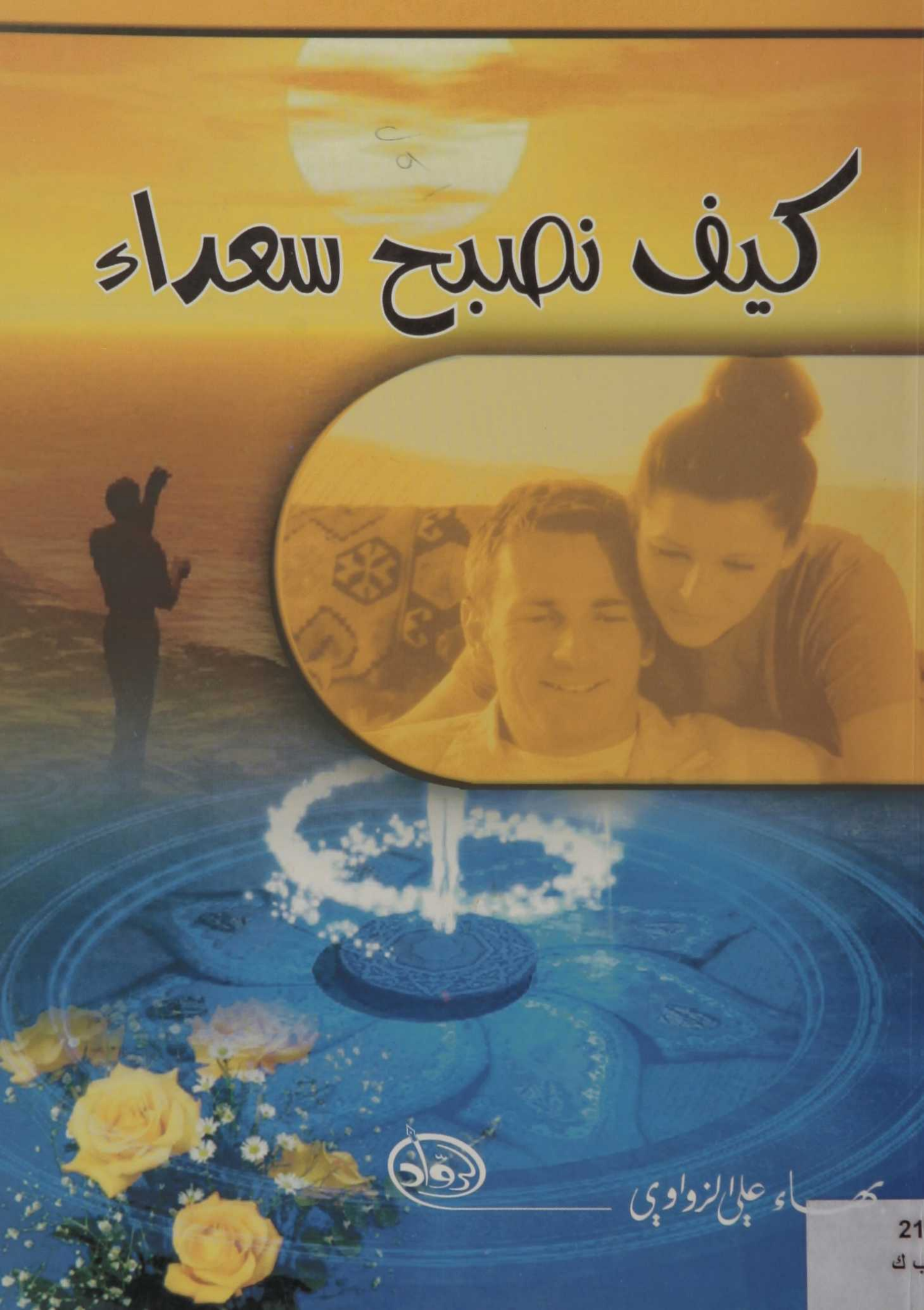

كيف نصبح سعداء
هاء علي الزواوي



﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

كيف نصبح سعداء

كيف نصبح سعداء

تأليف

بهاء الزواوي

عمان - الأردن

2004

الطبعة الأولى

2004م - 1425هـ



الرواد للطباعة والنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٤/٤/٨٧٥)

٢١١
الزواوي،بهاء
كيف نصبح سعداء / بهاء الزواوي .- عمان:
الرواد للطباعة ، ٢٠٠٤.
( ) ص
ر . أ : (٢٠٠٤/٤/٨٧٥)
الواصفات: /الثقافة الإسلامية// الأداب الإسلامية//الإسلام

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى
2004 م - 1425 هـ



الرواد للطباعة والنشر والتوزيع
Al Rowad for Publishing & Distributing

هاتف ، 4628455 فاكس، 4628455 ص.ب 7649 الرمز البريدي 11118
عمان- شارع السلط- مجمع الفحيص التجاري
e-mail:row_pub@yahoo.com

[باب التوبة]

الأقوال والآثار الواردة في التوبة

قال الحسن البصري رضي الله عنه : التوبة النصوح هي الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والترك بالجوارح والإضمار أن لا يعود [1] .

وقال لقمان الحكيم لابنيه : لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة .

وقال بشر بن الحارث : بلغني أن الفضل بن عياض قال[2] : بكاء النهار يمحو ذنوب العلانية ، وبكاء الليل يمحو ذنوب السر .

وقال أبو الحسن النوري : التوبة أن تتوب عن كل شيء سوى الله تعالى توبة الجمع ترفع العذاب : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أيس يونس عليه السلام من إيمان قومه دعا ربه عليهم ، فقال : يا رب إن قومي أبوا إلا الكفر فأنزل عليهم نقمتك ، فأوحى الله عز وجل إليه : إني سأنزل بقومك العذاب قال: فخرج عنهم يونس وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأخرج أهله ومعه ابناه صغيران فانطلق حتى خرج عنهم فصعد جبلاً ينظر إلى أهل (نينوى) ويترقب العذاب وبعث الله عز وجل جبريل فقال : انطلق إلى مالك خازن النار فقل له يخرج من سموم جهنم على قدر مثقال شعيرة ثم انطلق به فأحط به أهل مدينة (نينوى) قال: فانطلق جبريل ففعل ما أمره ربه عز وجل ، وعاين قوم يونس العذاب لما هبط للوقت الذي وقت لهم يونس ، قال أبو الجلد : إن العذاب لما هبط على قوم يونس ، جعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم ، قال ابن عباس : فلما استيقنوا بالعذاب سقط في أيديهم ، وعلموا أن يونس قد صدقهم ، طلبوه فلم يقدروا عليه ، فقالوا : نجتمع إلى الله ونتوب إليه ، قال : فخرجوا إلى موضع يقال له : تل الرماد وتل التوبة ، وإنما سمي تل الرماد لأنهم خرجوا جميعاً الرجال والنساء والعواتق وأخرجوا معهم أنعامهم وبهائمهم، فميزوا بين المراضع وأولادها وجعلوا الرماد على رؤوسهم ، ووضعوا الشوك من تحت أرجلهم ولبسوا المسوح والصوف ثم استجاروا بالله ورفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء فعلم

---

[1] نزهة المجالس (٢٨٣)

[2] كتاب اللمع لأبي نصر السراج الطوسي (٦٨)

الله عـز وجل منهم الصدق ، فقالت الملائكة : يا رب !! رحمتك وسعت كل شيء ، فهؤلاء الأكابر من ولد آدم تعذبهم ، فما بال الأصاغر والبهائم ؟

فقـال الله عـز وجل : يا جبريل ! ارفع عنهم العذاب ، فقد قبلت توبتهم ، يقول الله عز وجل : [فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين[1] [2]] .

* غيرة الله على عباده *

وروى سيدنا أبـو سـعيد الخـدري أن سـيدنا محمـداً عليه الصلاة والسلام قال : قال إبلـيس أي رب، لا أزال أغـوي بني آدم ، ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب عز وجل لا أزال أغفر لهم ما استغفروني [3]

* إن رجعت إلينا قبلناك :

يـروى أنـه كـان في بـني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ، ثم عصاه عشرين سـنة ، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته ، فساءه ذلك فقال : إلهي أطعتك عشرين سنة ثـم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك أتقبلني ؟ فسمع قائلاً يقول ولا يرى شخصاً : أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك[4] .

* توبة الفضيل بن عياض

قال علي بن خشرم : أخبرني رجل من جيران الفضيل بن عياض قال : كان الفضيل يقطـع الطـريق وحـده ، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً ، فقـال بعضـهم لبعض : اعدلوا بنا إلى هذه القرية ، فإن أمامنا رجل يقطع الطريق يقال له : الفضـيل ، قـال : فسـمع الفضـيل فـأرعد ، فقـال : يـا قوم !! أنا الفضيل ، جوزوا ، والله لاجتهدن أن لا أعصي الله أبداً ، فرجع عما كان عليه .

---

[1] سورة يونس الآية (٩٨)

[2] كتب التوابين (٦٤-٦٥)

[3] أخرجه أحمد (٣/ ٢٩) والحاكم (٧٦٧٢) وصححه.

[4] هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/ ٧٢)

وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة ، وقال : أنتم آمنون من الفضيل وخرج يرتاد لهم علفاً ، ثم رجع فسمع قارئاً يقرأ : [ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله] ، قال: بلى والله قد آن ، فكان هذا مبتدأ توبته .

وقال إبراهيم بن الأشعث : سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ويبكي ويردد هذه الآية : [ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم] وجعل يقول : ونبلوا أخباركم !! ويردد ويقول : وتبلوا أخبارنا ! إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا !! إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ! وسمعته يقول : تزينت للناس وتصنعت لهم وتهيأت لهم ، ولم تزل ترائي حتى عرفوك فقالوا : رجل صالح ! فقضوا لك الحوائج ، ووسعوا لك في المجلس ، وعظموك هيبة لك ، ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك !! وسمعته يقول : إن قدرت أن لا تعرف فافعل ، وما عليك أن لا تعرف ، وما عليك إن لم يُثنَ عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً [1] .

* الاعتراف بالعجز والذل توبة :

وعن وهب بن منبه قال : كان في زمن موسى عليه السلام شاب عاتٍ مسرف على نفسه ، فأخرجوه من بينهم لسوء فعله ، فحضرته الوفاة في خربة على باب البلدة ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إن ولياً من أوليائي حضره الموت فأحضره وغسله وصل عليه ، وقل لمن كثر عصيانه يحضر جنازته لأغفر لهم ، واحمله إلي لأكرم مثواه ، فنادى موسى في بني إسرائيل فكثر الناس ، فلما حضروه عرفوه وقالوا : يا نبيّ الله ! هذا هو الفاسق الذي أخرجناه فتعجب موسى من ذلك ، فأوحى الله إليه : صدقوا وهم شهدائي إلا أنه لما حضرته الوفاة في هذه الخربة نظر يمنة ويسرة فلم ير حميماً ولا قريباً ، ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة فرفع بصره إليّ وقال : ((إلهي ! عبد من عبادك غريب في بلادك ، لو علمت أن عذابي يزيد في ملكك ، وعفوك عني ينقص من ملكك لما سألتك المغفرة ، وليس لي ملجأ ولا رجاء إلا أنت وقد سمعت فيما أنزلت أنك قلت : [نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم[2]] فلا تخيب رجائي)) يا موسى ! أفكان بي أن أرده وهو غريب على هذه

---

[1] كتاب التوابين (٢٠٧-٢٠٨)

[2] سورة الحجر الآية (٤٩)

الصفة، وقد توسل إليَّ بي وتضرع بين يدي !! وعزتي لو سألني في المذنبين من أهل الأرض جميعاً لوهبتهم له لذل غربته، يا موسى !! أنا كهف الغريب وحبيبه وطبيبه وراحمه [1].

* لبيك ثلاثاً للتائب :

قال سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب إذا سألك الطائع ماذا تقول له ؟ قال: أقول : لبيك ، قال : فالزاهد ؟ قال : أقول : لبيك ؟ قال : فالصائم ؟ قال : أقول : لبيك ، قال : فالعاصي ؟ قال : أقول : لبيك لبيك لبيك ، يا موسى كل واحد من هؤلاء يتوكل على عمله ، والعاصي يتكل على رحمتي ، وأنا لا أخيب عبداً اتكل عليّ ، لأني قلت: [ومن يتوكل على الله فهو حسبه] .[2][3]

* باب الله وباب الأمير :

ذكر أنه كان في بني إسرائيل ملك ، فوصف له رجل من العباد فدعاه وراوده على صحبته ولزوم بابه ، فقال له العابد : حسناً ما تقول أيها الملك ، ولكن لو أنك دخلت يوماً في بيتك فوجدتني ألعب مع جاريتك ماذا كنت تفعل ؟ فغضب الملك وقال : يا فاجر ، أتجترئ عليَّ بمثل هذا ؟! فقال العابد : إن لي رباً كريماً لو رأى مني سبعين ذنباً في اليوم ما غضب علي ولا طردني عن بابه ولا حرمني رزقه، فكيف أفارق بابه وألزم باب من يغضب علي قبل أن أعصيه ؟ وكيف لو رأيتني في المعصية ؟ ثم خرج .[4]

* صاحب هذه الدار حر أم عبد ؟! :

حكي أن بشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى كان في زمن لهوه في داره وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون ، فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية ، فقال : صاحب هذه الدار حر أم عبد ؟! فقالت : بل حر ! فقال : صدقت ، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب ، فسمع بشر محاورتهما ، فسارع إلى الباب حافياً حاسراً وقد ولى الرجل ، فقال للجارية : ويحك !! من كلمك على الباب ؟ فأخبرته بما جرى ،

---

[1] كتاب التوابين (٨٢-٨٣)

[2] سورة الطلاق الآية (٣)

[3] نزهة المجالس (٢٨٣)

[4] تنبيه الغافلين (١٠٨)

فقال : أي ناحية أخذ الرجل ؟! فقالت : كذا ، فتبعه بشر حتى لحقه فقال له : يا سيدي ! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية ؟ قال : نعم ، قال: أعد علي الكلام ، فأعاده عليه فمرغ بشر خديه على الأرض وقال : بل عبد ! عبد ! ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحفاء فقيل له : لم لا تلبس [1] نعلاً ؟ قال: لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات .

*توبة امرأة فاتنة على يد الربيع :

قال أبو القاسم محرز الجلاب : حدثني سعدان قال ، قال : أمر قوم امرأةً ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خشيم لعلها تفتنه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم ، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها ، فأقبلت عليه وهي سافرة فقال لها الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين ؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير ؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشياً عليها ، فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جزع محترق . [2]

*الشعر في التوبة :

١- قال أحد الشعراء :

مثل لقلبك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور

قد كورت شمس النهار وأصبحت ... حراً على رأس العباد تفور

وإذا الجبال تقلعت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير

وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خلت الديار فما بها مغرور

وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور

[1] كتاب التوابين (٢١٠-٢١١)

[2] كتاب التوابين (٢٩٦)

(و)إذا الوحوش لدى القيامة وتقول للأملاك أين نسير

فيقال سيروا تشهدون فضائحاً وعجائباً قد أحضرت وأمور

وإذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلبه مذعور

هذا بلا ذنب يخاف لهو له كيف المقيم على الذنوب دهور [1]

٢- وقال بعضهم في التوبة :

رب هب لي المتاب حتى أتوب واعف عني فقد عرتني الذنوب

وعلى دين أحمد فأمتني وأحي قلبي يوم تحيا القلوب

يا مداوي السقام داو سقامي يا إلهي إني عليك حسيب

واشف قلبي في الذي قد علاه إن سقمي قد حار فيه الطبيب

يا مداوي العباد هب لي بقرب حاشاك أن أرجوك ثم أخيب

وأقل عثرتي وجد لي بقرب إن دائي بالقرب منك يطيب

تعست ليلة عصيتك فيها قد انقضت وإثمها لي نصيب

ما احتيالي وقد عصيتك جهلاً كيف لا أستحي وأنت الرقيب [2]

وقال أحدهم في دواء الذنوب :

إذا كثرت منك الذنوب فداوها بمد يد في الليل والليل مظلم

ولا تقنطن من رحمة الله إنما قنوطك منها من خطاياك أعظم

فرحمته للمحسنين كرامة ورحمته للمسرفين تكرم

---

[1] الاستعداد للموت وسؤال القبر للمليباري المعبري (٣٦-٣٧)

[2] تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للزملاكي (٣٣٢)

(الصبر)

الأقوال والآثار الواردة في الصبر :

قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : أفضل العدة الصبر على الشدة [١] .

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه : الناس يكرهون الفقر وأنا أحبه ، ويكرهون الموت وأنا أحبه ، ويكرهون السقم وأنا أحبه تكفيراً لخطاياي ، وأحب الفقر تواضعاً لربي ، وأحب الموت اشتياقاً إلى ربي. [٢]

وقال سعيد بن جبير : الصبر : اعتراف العبد لله بما أصابه به منه ، واحتسابه عند الله، ورجاء ثوابه ، وقد يجزع العبد وهو يتجلد ، لا يرى منه إلا الصبر[٣] .

وقيل : الصبر مثل اسمه مر مذاقته　　　لكن عواقبه أحلى من العسل[٤]

صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى قريش :

عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل لعنة الله عليه: أيكم يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على كتف محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه ، فاستضحكوا وأنا قائم أنظر ، قلت : لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي ساجد ما يرفع رأسه ، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت وهي جويرية ، فطرحته ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلاته رفع صوته فدعا عليهم ، فقال : (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات ، فلما سمعوا صوته ودعائه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال : (اللهم عليك بأبي جهل وعقبة ،

---

[١] أدب الدنيا والدين (٤٥٣-٤٥٥).

[٢] تنبيه الغافلين (٢٥٢).

[٣] تزكية النفوس لأحمد فريد (٩٢).

[٤] مدارج السالكين (٢/ ١٥٢)

وعتبة ، وشيبة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف)، قال ابن مسعود رضي الله عنه : والذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر [1] .

*** صبر سيدنا نوح على قومه :**

وأما نوح عليه الصلاة والسلام ، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته ، يرون أنه قد مات ، ثم يعود ويخرج إلى قومه، ويدعوهم إلى الله تعالى ، ولما أيس منهم ومن إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ، ومعه ابنه فقال لابنه : يا بني انظر إلى هذا الشيخ واعرفه ولا يضرك ، فقال له ابنه: يا أبت ! مكني في العصا ، فأخذها من أبيه وضرب بها نوحاً عليه الصلاة والسلام ، فشج بها رأسه، وسال الدم على وجهه ، فقال : رب قد ترى ما يفعل بي عبادك ، فإن يكن لك فيهم حاجة فاهدهم وإلا فصبرني إلى أن تحكم ، فأوحى الله تعالى إليه : [أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك[2]] ، قال : رب وما الفلك ؟ قال : بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي ، قال : يا رب وأين الماء ؟ قال : أنا على كل شيء قدير ، قال : يا رب وأين الخشب ؟ قال : اغرس الخشب ، فغرس الساج عشرين سنة ، وكف عن دعائهم ، وكفوا عن ضربه إلا أنهم كانوا يستهزئون به ، فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال : يا رب كيف اتخذ هذا البيت ، قال : اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه ، فأوحى الله تعالى إليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني ، فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته ، وإهلاك قومه وعذابهم ، إلا من آمن معه ، وفار التنور، وظهر الماء على وجه الأرض ، وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب ، حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال ، وعلا فوق أعلا جبل في الأرض أربعين ذراعاً ، وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ، ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير ، ليس هذا موضع شرحه وبسطه ، فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه .

---

[1] أخرجه البخاري (٢٤٠) ومسلم (٤٦٢٥) والنسائي (٣٠٦) وأحمد (١/ ٣٩٣)

[2] سورة هود الآية (٣٦-٣٧)

* صبر السيدة عائشة رضي الله عنها على وفاة أبيها :

عن سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قامت السيدة عائشة رضي الله عنها بعدما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقالت : نضر الله وجهك ، وشكر صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ، ولئن كان رزؤنا أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الأحداث بعده ، فإن كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة ، وأنا تابعة له في الصبر ، فأقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك ، فسلام الله عليك توديع غير ؟؟؟ لحياتك ، ولا رازنة على القضاء فيك[1] .

* مقالة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لأهل المصيبة :

كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا عزني رجلاً قال : ليس مع العزاء مصيبة ، وليس مع الجزع فائدة ، الموت أهون ما قبله وأشد ما بعده ، اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصغر مصيبتكم ، وأعظم الله أجركم. [2]

* صبر أحد الأصحاب على فقد بصره :

عن القاسم بن محمد أن رجلاً من أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذهب بصره ، فعادوه ، فقال : كنت أريدهما لأنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما إذا قبض النبي صلى الله عليه وسلم فوالله ما يسرني أن ما بهما بظبي من ظباء بتالة . [3]

* من جميل الصبر وجليل الشكر :

ذكر أن ابناً لعروة بن الزبير رضي الله عنه ، دخل اصطبله فرفسته دابة فقتلته ، فلما سمع عروة في ذلك شيئاً حتى قدم المدينة فقال : اللهم إنه كان لي أطراف أربعة ، أخذت

---

[1] المستطرف في كل فلن مستطرف (٥٠٢)

[2] حياة الصحابة (٣/ ٢٨٨)

[3] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٣٣)

واحداً وأبقيت لي ثلاثة ، فلك الحمد ، وكان لي بنون أربعة ، فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة ، فلك الحمد ، وأيم الله لئن أخذت لقد أبقين ، وإن ابتليت لطالما عافيت .[1]

* النظر إلى نعم الله تعالى مع الصبر :

قيل إن امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له : لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها : ويحك ! كنا في النعماء سبعين عاماً ، أفلا نصبر على الضراء مثلها ؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى عوفي[2].

* صبر أبي أيوب في السجن :

لما حبس أبو أيوب في السجن خمس عشر سنة ! ضاقت حيلته وضاق صدره، فكتب إلى بعض إخوانه يشكو إليه طول حبسه وقلة صبره ، فرد عليه جواب رقعته يقول:

صبراً أبا أيوب صبر مبرح   وإذا عجزت عن الخطوب فمن لها

إن الذي عقد الذي انعقدت له   عقد المكاره فيك يملك حلها

صبراً فإن الصبر يعقب راحة   ولعلها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أبو أيوب قائلاً :

وستنجلي بل لا أقول لعلها   صبرتني ووعظتني وأنا لها

ويحلها من كان صاحب عقدها   كرماً به إذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياماً حتى أطلق مكرماً[3] .

* صبر سعيد على زوجته :

إن سعيد بن إسماعيل أبقى على زوجته خمسة عشر عاماً !! رغم أنها عوراء عرجاء ومشوهة الخلق ، قالت مريم امرأته : صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها فقلت : يا أبا عثمان ! أي عملك أرجى عندك ؟ فقال : يا مريم لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يريدونني

---

[1] المستطرف في كل فن مستطرف (٣١٥)

[2] المستطرف في كل فن مستظرف (٥٠٢)

[3] المستطرف في كل فن مستظرف (٣١٤)

على الـزواج فأمتـنع ، جـاءتني امـرأة فقالـت : يـا أبا عثمان قد أحببتك حباً أذهب نومي وقـراري، وأنـا أسـألك بمقلـب القلـوب وأتوسل إليك أن تتزوج بي ، قلت : ألك والد ؟ قالت نعم ، فلان الخياط في موضع كذا وكذا ، فراسلت أباها أن يزوجها مني ، ففرح بذلك وأحضـر الشـهور فتزوجـت بهـا ، فـلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء مشوهة الخلق ، فقلـت : اللهـم لك الحمد على ما قدرته لي ! وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك ، فأزيدها بـراً وإكراماً إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها ، فتركت حضور المجالس إيثاراً لرضاها وحفظاً لقلبها ، ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة !! وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئاً من ذلك إلى أن ماتت ! فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي [1] .

(التوكل)

الأقوال والآثار الواردة في التوكل :

قـال سـهل بـن عـبدالله : التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنته ، فمن بقي على حاله فلا يتركن سنته .

وقال سهل : التوكل : الاسترسال مع الله مع ما يريد[2] .

وقـال بشـر الحـافي : يقـول أحدهم : توكلت على الله ، يكذب على الله !! لو توكل على الله رضي بما يفعل الله .

وقال ذو النون : هو خلع الأرباب وقطع الأسباب .

وقـال أبـو تـراب النخـشبي : هـو طـرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر .

وقـال سـهل بـن عـبدالله : مـن طعـن في الحركة فقط طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل في الإيمان .

وسئل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلاً ؟ قال : إذا رضي الله وكيلاً [1] .

---

[1] البداية والنهاية (١٢/ ١١٥)

[2] الرسالة القشيرية في علم التصوف (٧٧)

• من يمنعك مني ؟ فقال : الله :

عـن سـيدنا جابـر بن عبدالله رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم حـتى إذا كـنا بـذات الرقاع قال : كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صـلى الله علـيه وسـلم ، قال : فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسـلم معلـق بشجرة فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه[٢] : فقال أتخافني : قال : لا قال : فمن يمنعك مني ؟

قـال : الله يمـنعني مـنك ووضع السيف مكانه ومضى ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

• توكل سيدنا علي كرم الله وجهه على الله :

عـن سـيدنا قـتادة رضـي الله عـنه قال : إن آخر ليلة أتت على علي رضي الله عنه ، جعـل لا يسـتقر ، فارتـاب به أهله ، فجعل يدس بعضهم إلى بعض حتى أجمعوا فناشدوه ، قـال : إنـه لـيس مـن عبد إلا ومعه ملكان يدفعان عنه ما لم يقدر ، أو قال : ما لم يأت عليه القدر ، فإذا أتى القدر خليا بينه وبين القدر ، ثم خرج إلى المسجد فقتل[٤].

• شدة التوكل على الله تعالى :

عـن عمـر بن سنان قال : اجتاز بنا إبراهيم الخواص ، فقلنا: حدثنا بأعجب ما رأيت في أسـفارك ، فقـال: لقـيني الخضـر علـيه السـلام، فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد علي توكلي بسكوني إليه ففارقته [٥]

---

[١] هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/ ١٠١-١٠٢-١٠٣)

[٢] اخترطه استل السيف وأخذه من غمده

[٣] رواه مسلم (٨٤٣)

[٤] حياة الصحابة (٣/ ٣٠٥-٣٠٦)

[٥] تنوير القلوب (٣٧٣)

* توكل المرأة الصالحة:

وعن بعضهم قال: كنت في البادية، فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحدا، فتسارعت حتى أدركته، فإذا هي امرأة تمشي على التؤدة وبيدها عكازه، فظننت أنها أعيت[1]، فأدخلت يدي في جيبي وأخرجت عشرين درهما، فقلت: خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكتري بها، ثم ائتيني الليلة حتى أصلح أمرك، فأشارت بيدها هكذا في الهواء، فإذا في كفها دنانير، فقالت: أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب[2]

* أنه كان أكالا ولم يكن رزاقا:

قال حاتم الأصم قدسي سره لامرأته: إني أريد السفر، فكم أضع لك من النفقة؟ قالت: بقدر ما تعلم أني أعيش بعد سفرك، فقال: وما ندري كم نعيش؟ قال: فكله إلى من يعلم ذلك، فلما سافر حاتم دخل النساء عليها يتوجعن لها من كونه مسافرا وتركها بلا نفقة، فقالت: إنه كان أكالا ولم يكن رزاقا [3]

* خروج المتوكل من السجن بقدرة الله:

حكى أن هارون الرشيد أراد أن يعاقب رجلا من أهل التوكل فلم يقدر عليه! فأمر بسجنه! فقيل له: إنه خرج من السجن وهو في بستان، فأحضره وقال له: من أخرجك من السجن؟ قال: الذي أدخلني، قال: من أدخلك؟ قال: الذي أخرجني، فأركبه على فرس وأمر مناديا ينادى عليه: هذا جزاء عبد أراد هارون الرشيد إهانته، فأعزه الله، وأنشد قائلا:

إذا أكرم الرحمن عبد بعزة ... فلن يقدر المخلوق يوما يهينه

ومن كان مولاه العزيز أهانه ... فلا أحد بالعز يوما يعينه

* نعم الزاد زادك يا حاتم:

ذكر عن أبي مطيع البلخي أنه قال لحاتم الأصم، رحمهما الله: بلغني أنك تجاوز المفاوز بالتوكل بغير زاد، قال: بل أجاوزها بزاد، قال: وما زادك؟ قال: زادي فيها أربعة أشياء،

---

[1] أعيت من العي وهو التعب والمشقة

[2] تنوير القلوب (٣٧٣)

[3] حكايا الصوفية (٦٠)

قال: ما هي؟ قال: أرى الدنيا بجذافيرها مملكة لله، وأرى الخلق كلهم عيال الله، وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله، وأرى قضاء الله نافذا في جميع أرض الله، قال أبو مطيع: نعم الزاد زادك يا حاتم، وإنكِ لتجاوز به مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الدنيا[1].

* من ليس رزقه على الله فاطرده عنك :

جاء رجل إلى الشلبي يشكو إليه كثرة العيال، فقال: أرجع إلى بيتك فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك[2]

* الحكم الرفاعية :

١ – الفقير إذا انتصر لنفسه تعب، وإذا اسلم الأمر إلى الله نصره الله من غير عشيرة و لا أهل .

٢ – الاطمئنان بغيره تعالى خوف، والخوف منه اطمئنان من غيره.

٣ – من اعتز بذي العزة عز، ومن اعتز بغيره وقف معه بلا عز .

٤ – ما أفلح من دس، ولا عز من ظلم، ولا يتم حال لباغ، ولا يخذل عبد رضي بالله وكيلا ونصيرا.

٥ – وإياك وروية الفعل في العبد حيا كان أو ميتا، فإن الخلق كلهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا.

٦ – ومن علم أن الله يفعل ما يريد، فوص الأمر إلى الفعال المقتدر، وفرش جبينه على تراب التسليم[3].

* الحكم العطائية :

١ – اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك.

٢ – كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد[1]؟!

---

[1] تنبيه الغافلين (٤٦٦)

[2] الرسالة القشيرية في علم التصوف (٧٧)

[3] حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرقامها (١-٢٥-٦٤-٧٤-٨٤-٩٥)

*** الشعر في التوكل:**

قال شهاب الدين بن محمد الأبشهي رحمه الله تعالى:

توكل على الرحمن في الأمر كله ... فما خان حقا من عليه توكلا

وكن واثقا بالله واصبر لحكمه ... تفز بالذي ترجوه منه تفضيلا[٢]

[باب الصدق]

الأقوال والآثار الواردة في الصدق :

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: من عامل الله بالصدق والنصاحة[٣] استوحش مما سواه في الصباح والمساء[٤]

وقال الواسطي: الصدق صحة التوحيد مع القصد. وقال المهلب بن أبي صفرة: ما السيف الصارم في الشجاع بأعز له من الصدق. وقال يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى: إن الكذب يسقي باب كل شر كما يسقي الماء أصول الشجر. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: اجعل الصدق مطيتك. والحق سيفك، والله تعالى غاية مطلبك[٥]

*** صدقت فأنكحك الصدق :**

خطب سيدنا بلال رضي الله تعالى عنه لأخيه امرأة قرشية: فقال لها: نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى، وكنا ضالين فهدانا الله تعالى، وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى، وأنا أخطب إليكم فلانه لأخي، فإن تنكحوها له فالحمد لله تعالى، وإن تردونا فالله أكبر، فاقبل بعضهم على بعض فقالوا: بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه، فزوجوه، فلما انصرفوا فقال له أخاه، يغفر الله لك،

---

[١] الحكم العطائية لابن عطاء الله الكندري وارقامها (٥-١٢٧).

[٢] المستطرف في كل فن مستظرف (٩٣-٩٤)

[٣] نصح الشيء نصحا ونصوحا ونصاحة : خلص

[٤] آداب السلوك للشيخ عبد القادر الجيلاني (١٢٩)

[٥] الصدق منجاة وويل للكاذبين لأحمد صبري الإبراهيم (١٢٢)

مـا كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتترك ما عدا ذلك، فقال: مة يا أخي صدقت فأنكحك الصدق[1]

* صدق الله فصدقه:

عن الصحابي الجليل شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وآمن به وأتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسـلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه فجاء به إلى الـنبي صـلى الله علـيه وسـلم: فقـال: ما هذا؟ قال (قسمه لك) قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعك على أن أرمي إلى ههنا – وأشار إلى حلقه – بسهم فأموت فأدخل الجنة.

فقـال: (إن تصـدق الله يصـدق) فلبـثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو. فأتى به النبي صـلى الله علـيه وسلم يحمل قد أصحابه سهم حيث أشار وقال النبي صلى الله عليه وسلم في جبته ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك[2]

* الصدق يثمر الهداية والتوبة:

قـال العـالم الـرباني الشـيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: بنيت أمري من حين نشـأت عـلى الصـدق، وذلـك أنـي خرجـت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعـين ديـنارا اسـتعين بهـا على النفقة، وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خـرج علينـا جماعـة مـن اللصـوص، فـأخذوا القافلة، فمر واحد منهم وقال لي: ما معك؟ قلـت: أربعون دينارا، فظن إني أهزأ به، فتركني، فرأيت رجل آخر فقال: ما معك؟ فأخبرته بمـا معي، فأخذني إلى كبيرهم فسألني فأخبرته: فقال ما حملك على الصدق؟ قلت! عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها، فأخذت الخشية رئيس اللصوص، فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟! ثم أمر برد ما أخـذوه من القافلة وقال أنا تائب لله على يديك. فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعا ببركة الصدق.

---

[1] المستطرف في كل فن مستظرف (٢٥٥)

[2] اخرجه النسائي (١٩٥٢)

* لو كان حبك صادقا لأطعته :

دخل هارون الرشيد على بعض النساك فسلم عليه ، فقال: وعليك السلام، ثم قال: أيها الملك أتحب الله ؟ قال نعم ، فتعصيه قال : نعم ، قال : كذبت والله في حبك إياه ، إنك لو أحببته إذا ما عصيته ثم أنشأ يقول :

هـــنا لعمــــري في القـــياس بديـــع تعصـي الإلـه وأنـت تظهـر حـبه
ن المحـــب لمــــن يحــب مطـــيع لـو كـان حـبك صـادقاً لأطعـته
في كـــل يـــوم يبـــتديك بـــنعمة نـه وأنـت لشـكر ذاك مضـيع[1]

بعض الآثار في ذم الكذبة وأهلة :

١- عـن عائشـة رضـي الله عـنها قالت : ما كان من خلق أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عـلى الـرجل مـن أصـحابه عـلى الكذبـة ، فمـا ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث الله منها توبة .

٢- وقـال سـيدنا علـي رضي الله عنه : (أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة) .

٣- وقال سمرة بن جندب وكان داهية : لأن أقول : (لا) أحب إلي من أن أقول : (نعم) ثم لا أفعل .

٤- وقال مسروق رحمه الله : ليس شيء أعظم عند الله من الكذب [2]

٥- وقال سوار بن عبدالله : نبئت أن ميمون بن مهران قال وعنده رجل من أهل الشام : إن الكـذب في بعـض المواطن خير من الصدق ، فقال الشامي : لا ، الصدق في كل المواطـن خـير، قـال : رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف ، فدخل داراً ، فانتهى إلـيك فقـال : رأيـت الـرجل ؟ مـا كنت قائلاً ؟ قال : كنت أقول : لا : قال : فهو ذلك.

---

[1] مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين أبو الخير (١٢٧)

[2] ذم الكذب وأهله لابن أبي الدنيا وأرقامها (١١ -١٣-٤٤-٣٩-٣٥-٤٩-٨٧)

٦- وقال ابن شهاب : فلم أسمع رخصى فيما يقول الناس كذب إلا في ثلاث:(الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها) .

٧- وقال مالك بن دينار رحمه الله : الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه .

*الحكم الرفاعية :

١- ظهر بعض الجهلة أن هذه الطريقة تنال بالقيل والقال ، والدرهم والمال، وظواهر الأعمال ! لا والله إنما نبلها بالصدق والانكسار ، والذل والافتقار ، واتباع سنة النبي المختار، وهجر الأغيار .

٢- من استقام بنفسه استقام به غيره ، كيف يستقيم الظل والعود أعوج[1] ؟

[الإخلاص]

الأقوال والآثار الواردة في الإخلاص :

قال سهل رحمه الله تعالى : الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصته .

وقال المحاسبي : الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب[2].

وقال أبو أيوب السختياني : تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال [3].

وقال أبو عثمان : الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق .

وقال سليمان : طربي لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس .

---

[1] حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرقامها: (٦٣-١٣١)

[2] إحياء علوم الدين (٤-٤٠٢-٤٠٣)

[3] هكذا تكلم الأولياء الصالحون (٢-١٣ , ١٢)

وروى عن بعض العلماء أنه قال : مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة ، فيقول الناس : ما أملأ كيس هذا الرجل ، فلا منفعة له سوى مقالة الناس ، ولا ثواب له في الآخرة [1] .

وقال بعضهم : إخلاص ساعة نجاة الأبد ، ولكن الإخلاص عزيز[2] .

وقيل : الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد والطاعة .

وقيل : تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين .

* نجاة المرء في الإخلاص

كان رجل يخرج بزي النساء ، ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم ، فاتفق أن حضر يوماً موضعاً فيه مجتمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش ، فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه ، فدعا الله بالإخلاص وقال : إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا ، فوجدت الدرة مع تلك المرأة ، فصاحوا أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة [3] .

* إخلاص أبي غياث بالنهي عن المنكر :

روي أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى ، فدخل المدينة ليزور أخاً له ، وكان غلمان الأمير نصر بن محمد ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره ، فلما رآهم أبو غياث الزاهد قال : يا نفس وقع أمر إن سكتي فأنت شريكة، فرفع رأسه إلى السماء واستعان بالله وأخذ العصا فحمل عليهم حملة واحدة فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان ، وقصوا على الأمير ، فدعا به ، وقال له : أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدى في السجن ؟، فقال أبو غياث : أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران ؟ فقال له : من ولاك الحسبة ؟ فقال : الذي ولاك الإمارة ، فقال الأمير : ولاني الخليفة ، فقال أبو غياث : ولاني الحسبة رب الخليفة ، فقال الأمير : وليتك الحسبة بسمرقند، فقال : عزلت نفسي عنها، فقال الأمير : العجب في أمرك ، تحتسب حين لم تؤمر

---

[1] تنبيه الغافلين (٢٥)

[2] تزكية النفوس لأحمد فريد (١٣)

[3] إحياء علوم الدين (٤-٣٩٩)

وتمتنع حين تؤمر ، قال : حاجتي أن ترد علي شبابي ، فقال : ليس ذلك إلي ، فهل لك حاجة أخرى ؟ قال : أن تكتب إلى مالك خازن النار أن لا يعذبني ، قال : ليس لي ذلك أيضاً ، قال: هل لك حاجة أخرى ؟ قال: أن تكتب إلى رضوان خازن الجنان يدخلني الجنة ، قال: ليس لي ذلك أيضاً ، قال أبو غياث : فإنها مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلها ، لا أسأله حاجة ، إلا أجابني إليها ، فخلى الأمير سبيله[1] .

* إخلاص ابن يزيد في القضاء :

إن عافية بن يزيد القاضي طلب من المهدي إعفاءه من القضاء ، لأن قلبه مال لأحد المتخاصمين ، فدخل يوماً على المهدي في وقت الظهيرة فقال : يا أمير المؤمنين اعفني ، فقال له المهدي : ولم أعفيك ؟ هل اعترض عليك أحد من الأمراء ؟ فقال له : لا ، ولكن كان بين اثنين خصومة عندي ، تعمد أحدهما إلي رطب السكر ، وكأنه سمع إني أحبه ، فأهدى إلي منه طبقاً لا يصلح إلا لأمير المؤمنين ، فرددته عليه فلما أصبحنا وجلسنا إلى الحكومة لم يستويا عندي في قلبي ولا في نظري ، بل مال قلبي إلى المهدي فيهما ، هذا مع إني لم أقبل منه ما هداه ، فكيف لو قبلت ؟ فاعفني عفا الله عنك ، فأعفاه[2] .

* إخلاص المقداد بالجهاد :

قال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما في الأرض جميعاً ، هو الذي وقف أعظم موقف عرفته الدنيا يوم بدر حين أقبلت قريش في بأسها الشديد ، وإصرارها العنيد ، والمسلمون قلة ، وقف المقداد أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله أمض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بدو إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق ! لو سرت بنا إلى برك العماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك حتى يفتح الله لك .

---

[1] مواعظ ومواقف العلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين لاحمد رضوان أبو الخير ١٥٤.

[2] غرائب الإضبار في حياة السلف الأخيار لخالد سيد علي (١/ ١١٦-١١٧)

* **إخلاص النفر الثلاثة بالعمل :**

عن عبدالله بن عمر الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرج عليهما حتى ناما فجلبت لهما غبوقهما فوجتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً .

فلبثت – والقدح على يدي – أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغنون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه، قال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت : اتق الله ولا تفضي الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، وقال ثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله أدِ لي أجري، فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي ! فقلت لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إني كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون[1] .

* **الحكم العطائية :**

١- الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها .

٢- كما لا يحب العمل المشترك، كذلك لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يقبل عليه .

---

[1] أخرجه البخاري (٣/ ١١٩) ومسلم (٨/ ٩١)، وأبو داود (١١/ ٣٣) وأحمد (٢/ ١١٦)

٣- فرغ قلبك من الأغيار، يملأه بالمعارف والأسرار .

٤- ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً .

• الحكم الرفاعية :

١- نعم الرفيق في بلاد الله تقوى الله، ونعم المداح الإخلاص .

٢- لن يصل العبد إلى مرتبة أصل الكمال وفيه بقية من حروف (أنا) .

٣- من سلك الطريق بنفسه أعيد قسراً، هذه الطريقة لا تورث عن الأب والجد، إنما هي طريقة العمل والجد والوقوف عند الحد وذر الدموع على الخد، والأدب مع الله تعالى [1]

[الورع]

الأقوال والآثار الواردة في الورع :

قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه : كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام .

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه : جلساء الله غدا أهل الورع والزهد .

وقال الشبلي : الورع أن يتورع عن كل ما سوى الله .

وقال إسحاق بن خلف الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة .

وقال أبو سليمان الداراني : الورع أول الزهد ، كما أن القناعة أول الرضا.

وقال يونس بن عبيد : الورع : الخروج عن كل شبهة ، ومحاسبة النفس في كل طرفة عين .

وقال الحسن : مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة[2].

وقال أبو سعيد الخراز : الورع : أن تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر، حتى لا يكون لأحدهم قبلك ملمة ولا دعوى ولا طلبة .

---

[1] حكم العهد الإمام أحمد الرفاعي قدس الله سره وأرقامها (٤٤-٤٥-٦٢)

[2] هكذا تكلم الأولياء الصالحون (٨٥-٨٦)

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : الورع دليل الخوف ، والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القربة .

وقال إسحاق بن إبراهيم بن شيبان : قال لي أبي : يا بني ! تعلم العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فقل من أعرض عنه فأقبل عليه .

وقال عثمان بن عمارة: الورع يبلغ بالعبد إلى الزهد في الدنيا، والزهد يبلغ به إلى حب الله عز وجل .

وقال الضحاك: لقد أدركت أصحابي وما يتعلمون إلا الورع .

وقال بعض السلف: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا يأس به حذراً مما به بأس .

وقيل : الورع: الخروج من الشهوات، وترك السيئات(١) .

*ورع النبي صلى الله عليه وسلم :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد تحت جنبه ثمرة من الليل فأكلها، فلم ينم تلك الليلة، فقالت بعض نسائه: يا رسول الله ! أرقت الليلة، قال: إني وجدت تحت جنبي ثمرة فأكلتها وكان عندنا ثمر من ثمر الصدقة، فخشيت أن تكون منه(٢) .

*ورع سيدنا أبي بكر رضي الله عنه :

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مملوك يفك عليه، فأتاه ليلة بطعام، فتناول منه لقمة، فقال المملوك: مالك كنت تسألني كل ليلة، ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا ؟ قال مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم، فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررت بهم، فإذا عرس لهم، فأعطوني: قال: إن كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه، فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن

---

(١) هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٨٥)

(٢) أخرجه أحمد (٦٦٩١)

هـذه لا تخـرج إلا بالمـاء، فدعا بطبق من الماء، فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يـرحمك الله ! كـل هـذا مـن أجـل هـذه اللقمة، قال : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعـت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به [1] فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة [2] .

* ورع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عـن زيـد بن أسلم رضي الله عنه قال: شرب عمر رضي الله عنه لبناً، فأعجبه، فسأل الـذي سـقاه: مـن أيـن لك هذا اللبن ؟ فأخبره أنه ورد على ماء، فإذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون، فحلبوا لنا من ألبانها، فجعلته في سقائي هذا، فأدخل عمر إصبعه فاستقاءه [3].

[المراقبة والمحاسبة]

الأقوال والآثار الواردة في المراقبة والمحاسبة :

قـال سـيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتاً [4].

وقـال سـيدنا علـي كـرم الله وجهـه ورضـي عنه: أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة[5].

وقال الخواص : المراقبة خلوص السر والعلانية لله عز وجل .

وقال الجنيد : من تحقق في المراقبة خاف على فوات لحظة من ربه لا غير .

وقـال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله ، وتعظيم ما عظم الله ، وتصغير ما صغر الله .

---

[1] أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١) والسيوطي في الجامع الصغير (٦٢٩٦)

[2] أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١)

[3] حياة الصحابة (٣/ ٣٠٣)

[4] تزكية النفوس لأحمد فريد (٨١-٨٤)

[5] هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/ ١٨٢)

وقال الحريري: أمرنا هذا مبني على فصلين : أن تلزم نفسك المراقبة لله ، وأن يكون العلم على ظاهرك قائماً .

وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري : إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ونفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك[1] .

وقال إبراهيم الخواص: المراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى.

وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم به الإنسان في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم[2] .

وقال الحسن بن علي الدامغاني رحمه الله تعالى: عليكم بحفظ السرائر، فإنه مطلع على الضمائر [3].

وقال سهل بن عبدالله: ما عبدالله بشيء مثل مخالفة النفس [4].

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا، ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل، فكان لها قائداً .

وقال الحسن رحمه الله: رحم الله عبداً وقف عند همه، فإذا كان الله أمضاه، وإذا كان لغيره تأخر.

*الزوجة التي تخشى الله :

عن ابن جريج قال: أخبرني من أصدقه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

وأرقني أن لا خليل ألاعبه   تطاول هذا الليل واسود جانبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه   لزحزح من هذا السرير

---

[1] هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/ ٩٨)

[2] الرسالة القشيرية في علم التصوف (٨٨)

[3] اللمع لأبي نصر السراج الطوسي (٨٢)

[4] تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب (٣٦٧)

فقال عمر: مالك؟ قالت: أغزيت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه، قال أردت سوءاً ؟ قالت: معاذ الله . قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه فبعث إليه، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها فقال: إني أسألك عن أمر قد أهمني، فأخرجيه عني، كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحت، قال: فإن الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها: ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر [1].

*كل موضع ذهبت إليه رأيته مشغولاً بالله تعالى :

لما أراد الشيخ منصور البطائي أن يجعل سيدنا أحمد الرفاعي قائماً مقامه في مشيخة الشيوخ قالت زوجته وولداه وبعض محبيه : إن ميراث الأب لا يكون إلا للابن، ولا يكون لابن الأخت، وكان الشيخ منصور خال سيدنا الإمام الرفاعي فقال لهم الشيخ: إني رأيت شيئاً، وإن شئتم أره لكم، فقالوا له: أره لنا، فجمع الشيخ منصور أولاده وأحبابه، وأحضر سيدي أحمد معه وأعطى الشيخ لكل واحد من ولديه سكيناً ودجاجة وأعطى لسيدي أحمد كذلك سكيناً ودجاجة وقال: كل منكم يذهب بدجاجته وسكينه إلى محل خال ما فيه أحد ويذبح دجاجته فيه ويأتيني بها مذبوحة، فراح كل واحد منهم إلى جبل وذبح دجاجته وجاء بها، إلا سيدي أحمد، فجاء بدجاجته حية، فلما رآه الشيخ منصور ودجاجته غير مذبوحة قال: أي أحمد لأي شيء جئت بها بلا ذبح ؟ فقال: أي سيدي شرطتم عليّ خلو المكان وكل موضع أذهب إليه رأيته مشغولاً بالله تعالى، وهو حاضر ناظر، وما رأيت مكاناً خالياً قط فلذلك ما ذبحتها، فقال سيدنا منصور رضي الله عنه : أنتم تريدون لمحبوبكم والله يريد لمحبوبه .

ثم ألحوا عليه مرة أخرى فأعطاهم رضي الله عنه مناجل حديد وزنابيل وقال لهم: اذهبوا وهاتوا إليّ نجيلاً من حشيش الغيط، فراح كل من أولاد الشيخ وحصد حملاً وجاء به إلا سيدي أحمد، فإنه جاء خالياً، فقال له سيدي منصور: لأي شيء جئت خالياً أي أحمد ؟ فقال له: سيدي إني كلما أمسكت الحشيش أجده يذكر الله تعالى، فما حصدته حرمة لتسبيحه الله .

---

[1] حياة الصحابة (٢/ ٦٥)

فقـال الشـيخ منصـور: أمـا ظهـر لكـم أن عناية الحق مع سيدي أحمد ؟ فقالوا كلهم بلى[1].

*** فأين الله ؟! :**

قـيل: كـان ابن عمر رضي الله عنهما في سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع مـن هـذه الغـنم واحـدة ؟ فقـال: إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها: إن الذئب أخذ منها واحـدة، فقال العبد: فأين الله، فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة قال ذلك العبد: فأين الله [2].

*** من راقب الله وقاه ما يكره :**

قـال الأصـمعي: قـال إعـرابي: خرجـت في لـيلة ظـلماء، فـإذا أنا بجارية كأنها علم، فأردتها، فقالت: ويلك أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناه من دين ؟

فقلت: أيها والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: وأين مكوكبها [3].

*** فكر وكن حريصاً على الآخرة :**

كتـب بعـض السلف إلى بعض إخوانه من أبناء الدنيا يعظه: أخبرني عن الذي تكدح فـيه وتحرص عليه في أمر الدنيا، هل بلغت فيه ما تريد وأدركت ما تتمنى ؟ فقال: لا والله ، فقـال: أرأيـتك هـذا الـذي أنـت حـريص عليه لم تنل فيه ما تريد، فكيف تنال الآخرة وقد أعرضت عنها وصرفت عنها ؟! فما أراك تضرب إلا في حديد بارد[4] .

*** متى يصير داء النفس دواءها ؟!**

قـال الجنـيد رحمـه الله تعـالى: أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة، فأردت أن أنام فلم أقدر عليه، فقعدت فلم أطق القعود، ففتحت الباب وخرجت،

---

[1] السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية قدس الله أسرارهم للمؤلف (٢٦-٢٧)

[2] الرسالة القشيرية في علم التصوف (٨٨)

[3] صفة الصفوة (٤/ ٣٩٥).

[4] قوت القلوب في معاملة المحبوب (٢١١).

فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي رفع رأسه وقال: يا أبا القاسم إلى الساعة ؟! فقلت من غير موعد ؟! فقال: بلى ! قد سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك، فقلت: فقد فعل، فما حاجتك ؟ فقال: متى يصير داء النفس دواءها ؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها، فأقبل على نفسه وقال: اسمعي، فقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه في الجنيد، وقد سمعته، وانصرف عني ولم أعرفه ولم أقف عليه بعد[1] .

* بمخالفة النفس تفعل العجائب :

حكي أن راهباً اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة، فقال عالم من المسلمين: لابد من قتله خوفاً على المسلمين أن يفتنهم، فقصده بسكين مسمومة، فلما طرق بابه قال: اطرح السكين يا عالم المسلمين، فطرحها فدخل، فقال: من أين لك نور المكاشفة ؟!

قال بمخالفة النفس، فقال: هل لك في الإسلام ؟ قال نعم، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، قال: ما حملك على ذلك ؟ قال: عرضت الإسلام على نفسي فأبت، فخالفتها[2] .

* الحكم الرفاعية :

١- كل الناس يريدون أنفسهم فيفان على قلوبهم، فالمحمدي يستغرق، ويدفع الحجاب، والمحجوب يزداد طمساً على طمس، والمعصوم من عصمة الله .

٢- نفس الفقير مثل الكبريت الأحمر، لا يصرف إلا بحق لحق .

٣- من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، لم يثبت عندنا في ديوان الرجال [3].

** الحكم العطائية :

١- إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس .

---

[1] الرسالة القشيرية في علم التصوف (٧١)

[2] تنوير القلوب (٣٦٧)

[3] حكم السيد الإمام الرفاعي رضي الله عنه وأرقامها: (٧٥-١٢٨-١٢٩)

٢- أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه ؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه ؟.

٣- ولا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير، والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون [وإن إلى ربك المنتهى[1]] .

وانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه [2]فافهم قوله عليه الصلاة والسلام، وتأمل هذا الأمر .

٤- البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح، والقبض لاحظ للنفس فيه.

٥- حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه.

٦- تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب، خير في تشوفك إلى ما حجب عنك من العيوب .

٧- إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً.

٨- لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين، إذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك [3].

الشعر في المراقبة والمحاسبة :

١- قال الشاعر في المراقبة والمحاسبة :

مثل وقوفك يوم الحشر عرياناً   مستعطفاً قلق الأحشاء حيرانا

---

[1] سورة النجم الآية (٤٢)

[2] أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) وأبو داود (٢٢٠١) والترمذي (١٦٤٧)

[3] الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها: (١٨-٣٥-٤٢-٨٢-١٥٩-٣٢-١٩٢-٢٤٤)

الـــنار تزفـــر مـــن غـــيظ ومـــن حـــنق لى العصــــاة وتلقـــى الـــرب غضــــبانا

لمـــا قـــرأت كـــتاباً لا يغـــادر لـــــي رفـــاً ومـــا كـــان في ســـــر وإعلانــــا

قـــال الجلـــيل: خـــذوه يـــا ملائكـــتي روا بعــــبدي إلى الـــــنيران عطشـــــانا

يـــا رب لا تخـــزنا يـــوم الحســـاب ولا جعـــل لـــنارك فيـــنا الـــيوم ســـلطانا[1]

٢- وقال البستي :

يا خادم الجسم كـــم تشقى بخدمـتـه تطلب الربح مما فيه خسران ؟!

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان [2]

[باب حق الزوج على الزوجة وحق الزوجة على الزوج]

* الأقوال والآثار في باب حق الزوج على الزوجة وحق الزوجة على الزوج :

قال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: جهاد المرأة حسن التبعل إطاعة الزوج [3])) وقال طاووس: المرأة شطر دين الرجل .

وقال أحمد بن حنبل: ليست العزوبة من أمر الإسلام في شيء .

وقال أيضاً: لو ترك الناس النكاح، لم يفزوا ولم يحجوا، ولم يكن كذا، ولم يكن كذا.

وقيل: ما أجمل حياة الزوجين الصديقين المتحابين، وما أقبح حياة الزوجين اللذين يمثلان على مسرح البيت حياة الحيوان .

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: زوج ابنتك صاحب الدين فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لا يظلمها .

وقيل: إذا اتخذت امرأة زوجة فكن لها أباً وأماً وأخاً لأنها تترك أباها وأمها وأخوتها وتتبعك فمن الحق أن ترى فيك رأفة الأب وحنو الأم ورفق الأخ وعندها تكون الزوج الموفق .

---

[1] الاستعداد للموت وسؤال القبر للمليباري (٤٧).

[2] هكذا تكلم الأولياء الصالحون (١٨٥)

[3] معجم حكمة العرب (٣٧٠)

وقال إياس بن معاوية: من يمن المرأة الولد، ومن بركتها مياسرتها في المهر .

وقال لقمان رضي الله عنه: ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلاً [1].

وعن قتادة قال: ذكر لنا كعب قال: أول ما تسأل المرأة عنه يوم القيامة، عن صلاتها ثم عن حق زوجها [2].

وفي حكمة سليمان بن داود عليه السلام: المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها، والمرأة السفيهة تهدمه[3] .

***زوّج ابنته لرجل صالح فحفظ حقها :**

قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت ؟ قلت: توفيت أهلي، فاشتغلت بها .

فقال: هلا أخبرتنا ، فشهدناها ؟

قال أردت أن أقوم، فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها ؟ فقلت: يرحمك الله ، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال: إن أنا فعلت تفعل ؟ قلت: نعم . ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة، قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائماً، فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا ؟ قال: سعيد .

ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم يُرَ منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد ، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إليّ فآتيك ؟ قال: لا ، أنت أحق أن تؤتى . قلت: فما تأمرني ؟ قال: رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب، ثم

---

[1] مكاشفة القلوب (٣٩٤)

[2] تنبيه الغافلين (٥١٥)

[3] المستطرف في كل فن مستظرف (٢/ ٤٦١).

صـعدت إلى السـطح، فناديت الجيران، فجاؤوني، وقالوا: ما شأنك ؟ فقلت: زوجني سعيد بـن المسـيب اليوم ابنته، وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي، فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام .

فأقمـت ثلاثـاً، ثـم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعرفهم بحق الزوج .

قال: فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه، ثم آتيته بعد شهر وهو في حلقته . فسلمت عليه، فـردّ علـيّ، ولم يكـلمني حـتى انفـض من في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو.

قال: إن رابك شيء فالعصا فانصرفت إلى منزلي

وكانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه[1] .

* حسن اختيار الزوج ينشئ ذرية صالحة :

يحكـى عن مبارك أبي عبدالله : أنه كان يعمل في بستان لمولاه، وأقام فيه زماناً، ثم إن مـولاه صاحب البستان – كان أحد تجار همذان – جاءه يوماً، وقال له: يا مبارك أريد رماناً حلواً . فمضى مبارك إلى بعض الشجر، وأحضر منها رماناً، فكسره مولاه، فوجده حامضاً، فحرد عليه وقال: أطلب الحلو فتحضر لي الحامض ؟ هات حلواً .

فمضـى وقطع من شجرة أخرى، فلما كسره سيده، وجده أيضاً حامضاً، فاشتد حرده علـيه وفعـل ذلك مرة ثالثة، فذاقه، فوجده أيضاً حامضاً، فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلـو من الحامض ؟ وكيف ذلك ؟ فقال: لأني ما أكلت شيئاً منه حتى أعرفه، فقال: ولم لم تأكل ؟ قال: لأنك ما أذنت لي بالأكل منه .

فعجـب صاحب البستان من ذلك، ولما تبين له صدق عبده، عظم في عينه، وزاد قدره عـنده وكانـت له بنت خطبت كثيراً، فقال له: يا مبارك، من ترى تزوج هذه البنت ؟ فقال: أهـل الجاهلـية كـانوا يـزوجون للحسـب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين .

---

[1] وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٧)

فأعجبه عقله، وذهب فأخبر به زوجته، قال لها: ما أرى لهذه البنت زوجاً غير مبارك، فتزوجها، وأعطاهما أبوها مالاً كثيراً، فجاءت بعبد الله بن المبارك العالم، المحدث الزاهد، المجاهد، الذي كان أكرم ثمرة زواج على أبوين في آفاق زمانه حتى قال فيه الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ويقسم على قوله : ورب هذا البيت ! ما رأت عيناي مثل ابن المبارك.[١] .

* قالت حفصة أم المؤمنين لابن عمر عندما أعرض عن الزواج :

ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما أراد أن لا يتزوج، فقالت له حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها: يا أخي، لا تفعل، تزوج، فإن ولد لك ولد كانوا لك أجراً، وإن عاشوا دعوا الله لك[٢].

* الرجل السعيد في دنياه يتمنى الولد

قيل لابن أبي القاضي: الرجل السعيد في دنياه يتمنى الولد، ولا يتمناه في الجنة: فقال: تمنى الناس أولاداً في الدنيا لحبهم فيها، حتى إذا انقرضوا، يبقى لهم نعيمهم بقاء الولد، وقد أمنوا الانقراض في الجنة [٣].

* إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله :

أخرج البيهقي، عن قيس بن أبي حازم، قال: جاء رجل إلى أبي بكر، فقال: إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يجتاحه. فقال لأبيه: إنما لك من ماله ما يكفيك .

فقال: يا خليفة رسول الله ! أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنت ومالك لأبيك؟)) فقال: نعم، وإنما يعني بذلك النفقة[٤] .

---

[١] وفيات الأعيان (٢/ ٢٣٧)

[٢] كنز العمال (١٦-٤٩١)

[٣] طبقات الشافعية (٣-١٢٩)

[٤] تاريخ الخلفاء (١٩٦)

• قالت أسماء لابنتها ليلة زفافها :

حكي أن أسماء بنت خارجة قالت لابنتها ليلة زفافها: يا بنية إنك خرجت من العش الـذي فـيه درجـت، فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضاً، يكن لك سمـاءً، وكونـي له مهـاداً، يكـن لـك عمـاداً، وكوني له أمه، يكن لك عبداً، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشم منك إلا طيباً، ولا يسمع إلا حسناً، ولا ينظر إلا جميلاً .

- من حق الزوج على الزوجة :

قـال ابـن عباس رضي الله عنهما: أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ قال: إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير ولا تمنعه [1].

- نصيحة أب لابنته :

نصـح أب ابنـته فقال: احفظي عني خصلتين: تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح ثن أصابه مطر .

- زوجة أبي مسلم :

كـان أبـو مسـلم الخولانـي رحمه الله إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعام .

- وصية عبدالله بن جعفر لابنته :

وصى عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما ابنته فقال: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإيـاك وكـثرة العتـب فإنه يورث البغضاء وعليك بالكحل فإنه أزنى الزينة، وأطيب الطيب الماء.

---

[1] رواه ابـن ماجة (١/ ٢٩٢) ، بلفظ: (والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه).

- فانظر أنت بأيهم تقتدي :

حكي أن نوح بن مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جاراً له مجوسياً فقال: سبحان الله : الناس يستفتونك وأنت تستفتني، قال: لابد أن تشير عليّ قال: إن رئيسنا كسرى كان يختار المال، ورئيس الروم كان يختار الجمال والعرب كانت تختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين. فانظر أنت بأيهم تقتدي .

- إني أردت أن أشكو إليك من زوجتي :

ذكر أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه زوجته، فلما بلغ بابه سمع امرأته أم كلثوم تطاولت عليه، فقال الرجل: إني أردت أن أشكو إليه زوجتي وبه من البلوى مثل ما بي فرجع، فدعاه عمر رضي الله عنه فسأله، فقال: إني أردت أن أشكو إليك من زوجتي فلما سمعت من زوجتك ما سمعت رجعت، فقال عمر رضي الله عنه: إني أتجاوز عنها لحقوق لها عليّ .

* أولها: إنها ستر بيني وبين النار، فيسكن بها قلبي عن الحرام .
* والثاني: إنها خازنة لي إذا خرجت من منزلي حافظة لي .
* والثالث: إنها قصارة لي تغسل ثيابي .
* والرابع: إنها ظئر لولدي .
* والخامس: إنها خبازة وطباخة لي [1] .

- الأمثال :

* إذا أردت أن تسر تذكر أيام عرسك .
* اسأل عن الأم قبل أن تلم .
* تزوجت أختي يا سعادة بختي .
* تزوج بجهلك ورب أولادك على مهلك .
* الزواج قسمة ونصيب .

---

[1] تنبيه الغافلين (٥١٩)

* زواج القرايب أكبر المصايب .

* قرش الزواج ميسور .

* سترة البنت زواجها .

* من تزوج أمي أصبح عمي [1].

* الأصيلة لو على الحصيرة[2] .

* لو كان الرجل نهراً لكانت المرأة جسره .

* الزوجة الشابة والزوج العجوز يرزقان أولاداً، والزوجة العجوز والزوج الشاب يرزقان منازعات .

* الزواج قلعة محاصرة، من هو خارجها يود الدخول إليها، ومن هو داخلها يود الخروج منها.

* الزوج آخر من يعلم .

* وطن المرأة زوجها .

* مجد المرأة جمالها، ومجد الرجل قوته .

* لا تعرف المرأة قيمة سعادتها مع زوجها إلا عندما تفارقه .

* لا يؤسس البيت على الأرض بل على المرأة .

* المرأة المتبرجة كالقمر تتلألأ بضوء مستعار .

* قوة المرأة في دموعها .

* اسم الزوج ولا طعم الترمل .

* إذا كان زوجي راضي لماذا فضول القاضي .

---

[1] معجم حكمة العرب (٢٠٣).

[2] معجم حكمة العرب (٢٠٥).

باب بر الوالدين والنهي عن عقوقهما

الأقوال والآثار الواردة في باب بر الوالدين والنهي عن عقوقهما :

يقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا يقبل الله واحدة منهن بغير قرينتها :

* أولاها: قوله تعالى: [وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة][1] ، فمن صلى ولم يؤت الزكاة لم تقبل فيه الصلاة.

* والثانية: قوله تعالى: [وأطيعوا الله والرسول] [2]، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

* والثالثة: قوله تعالى: [أن أشكر لي ولوالديك] [3]، فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

ويقال للوالدين على الولد عشرة حقوق :

* أحدها: إنه إذا احتاج أحدهما إلى الطعام أطعمه .

* والثاني: إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليه .

* والثالث: إذا احتاج أحدهما إلى خدمته خدمه .

* والرابع: إذا دعاه أجابه .

* والخامس: إذا أمره بأمر أطاعه، ما لم يأمر بالمعصية والغيبة .

* والسادس: أن يتكلم معه باللين، ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ .

* والسابع: أن لا يدعوه باسمه .

* والثامن: أن يمشي خلفه .

* والتاسع: أن يرضى له ما يرضى لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه .

* والعاشر: أن يدعو له بالمغفرة كلما يدعو لنفسه .

---

[1] سورة البقرة الآية (٤٣)

[2] سورة آل عمران، الآية (١٣٢)

[3] سورة لقمان، الآية (١٤)

وروى عـن بعـض الصحابة رضي الله عنهم قال: ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش على الولد.

وقـال الفقـيه أبـو الليـث السمرقندي: فإن سأل سائل: إن الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد هل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما ؟ قيل له: بلى، يرضيهما بثلاثة أشياء :

* أولها: أن يكون صالحاً في نفسه، لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه .

* والثاني: أن يصل قرابتهما وأصدقاءهما .

* والثالث: أن يستغفر لهما، ويدعو لهما، ويتصدق عنهما [١].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: بكاء الوالدين من العقوق والكبائر[٢] .

وقـال ابـن بطـال: إن الأم تـنفرد عـن الأب بـثلاثة أشـياء: صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع[٣].

وقال ابن حزم: اتفقوا على أن بر الوالدين فرض[٤] .

وقال أحمد بن حنبل: بر الوالدين كفارة للكبائر [٥].

ونقل البيهقي في الشعب عن طاووس قال: من السنة أن توفر أربعة: العالم وذا الشيبة والسلطان والوالد [٦].

وقـال بعض التابعين: من دعا لوالديه خمس مرات فقد أدى حقهما في الدعاء لأن الله تعـالى قـال: [أن أشـكر لـي ولوالديـك إلي المصير] فشكر الله تعالى أن يصلي في كل يوم خمس مرات وكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما في كل يوم خمس مرات [٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة .

---

[١] تنبيه الغافلين (١٢٩).

[٢] الأدب المفرد (٢٥)

(٣) ففيهما فجاهد (٨١).

[٤] بر الوالدين وحقوق الأبناء والأرحام (٨)، وقوله اتفقوا: يقصد إجماع العلماء.

[٥] المرجع السابق.

[٦] بر الوالدين (٢٦).

[٧] كنز العمال (٤٥٥٣٩).

وروى عـن وهـب بـن منـبه أنه قال: أوصى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام: يا موسى وقر والديك، فإن من وقر والديه مددت في عمره، ووهبت له ولداً يوقره، ومن عق والديه فصرت في عمره، ووهبت له ولداً يعقه .

وقال أحد الحكماء: من عصى والديه لم ير السرور من ولده .

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: [أن أشكر لي ولوالديك[1]]، من صلى الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكر لوالديه بأن يقول:

رب اغفر لي ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيرا .

وقال أكثم بن صيفي: أفضل الأولاد البررة .

- فقد عققته قبل أن يعقك :

ورد أن رجلاً جاء إلى سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: إن ابني هذا – وأشار إلى ولده – يعقني .

فقـال سـيدنا عمر رضي الله عنه للابن: أما تخاف الله في عقوق والدك : فإن من حق الوالد كذا – ومن حق الوالد كذا .

فقـال الابـن: يـا أمـير المؤمنين ! أما للابن على والده حق ؟ قال: نعم، حقه عليه أن يستنخب أمه، لكيلا يكون للابن تعيير بها، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن.

فقـال الابن: فوالله ما استنخب أمي، وما هي إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم، ولا أحسن اسمي، سماني جعلا، ولا علمني من كتاب الله آية واحدة، فالتفت سيدنا عمر رضي الله عنه – إلى الأب وقال: تقول ابني يعقني، فقد عققته قبل أن يعقك، قم عني .

- سبحان الله الابن يضرب أباه ؟! :

عـن أبي حفص البسكندي – وكان من علماء سمرقند – أنه أتاه رجل فقال: إن ابني ضربني وأوجعني .

قال: سبحان الله ! الابن يضرب أباه ؟! قال: نعم، ضربني وأوجعني .

فقال: هل علمته الأدب والعلم ؟

---

[1] سورة لقمان الآية (١٤)

قال: لا، قال: فهل علمته القرآن ؟ قال: لا، قال: فأي عمل يعمل ؟

قال: الزراعة، قال: هل علمت لأي شيء ضربك ؟ قال: لا .

قال: فلعله حين أصبح، وتوجه إلى الزرع، وهو راكب على الحمار، والثيران بين يديه، والكلب خلفه، وتعرضت له في ذلك فظن أنك بقرة. فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك[1] .

- إنك أبر الناس بأمك :

كان زين العابدين رضي الله عنه كثير البر بأمه، حتى قيل له: إنك أبر الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صفحة !

فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها [2].

- منعه من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم بره بأمه :

ذكروا أن أويساً القرني – رضي الله عنه – ما منعه من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم- وكان قد آمن به قبل موته – إلا بره بوالدته حيث كان يرعاها في اليمن، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، فكان – رضي الله عنه – من أبر الناس بأمه وجاء في الحديث عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة بها بار، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل). وفي رواية: (إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم[3]) .

- فصادف أمه قائمة تصلي :

قال سفيان بن عيينة: قدم رجل من سفر، فصادف أمه قائمة تصلي، فكره أن يقعد وأمه قائمة، فعلمت ما أراد، فطولت ليؤجر[4] .

---

[1] البصائر في تذكير العشائر (٦٨٥)

[2] وفيات الأعيان (٤/ ٣٦).

[3] أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٢٢-٢٢٣-٢٢٥).

[4] بر الوالدين (٥٥)

- وقال ابن عمر لرجل ينصحه :

أتخاف النار أن تدخلها، وتحب الجنة أن تدخلها ؟ قال: نعم، قال: بر أمك، فوالله لئن ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات[1].

وقال مكحول والإمام أحمد: بر الوالدين كفارة الكبائر [2].

- بر لا يضيعه الله يوم القيامة :

يحكى أن الفضل بن يحيى كان في السجن مع أبيه، فلم يقدر على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء، فيلصقه إلى بطنه زماناً عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك [3].

- حمل أمه وطاف بها حول البيت :

ذكروا أن إعرابياً حمل أمه على ظهره، وراح يطوف بها حول البيت، وهو يقول:

إني لها مطية لا أذعر — إذا الركاب نفرت لا أنفر

ما حملت وأرضعتني أكثر — الله ربي ذو الجلال الأكبر

ثم التفت إلى ابن عباس وقال: أتراني قضيت حقها ؟ قال: لا والله ولا طلق من طلقاتها[4] .

- إن هذا ابني كان بطني له وعاء :

يروى أن رجلاً وامرأة ترافعا إلى زياد وإلى البصرة في ولدهما: فقالت المرأة: أصلح الله الأمير إن هذا ابني كان بطني له وعاء، وحجري له فناء، وثدي له سقاء، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل كذلك سبعة أعوام فحين أملت نفعه ورجوت دفعه أراد أبوه أخذه مني قهراً !

---

[1] جامع العلوم والحكم (٢-١٧٦)

[2] المرجع السابق (٢/ ١٨٤)

[3] وفيات الأعيان (٤/ ٣٦)

[4] صفحات مشرقة من حياة السابقين (٢٣٧).

فقال الرجل: أصلحك الله أيها الأمير أنا حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه.

فقالت المرأة: صدق ولكنه حمله خفاً وحملته ثقلاً، ووضعه شهوة ووضعته كرهاً.

قال زياد: أردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعني من سجعك.

- لا تبك يا أبت فسوف أزورك:

ورد أن أحد الأبناء ذهب بأبيه العجوز بعد أن ضجرت منه زوجته إلى مأوى العجزة، فلما دخل إليه صار الوالد يبكي، فقال له الولد وهو يطيب خاطره: يا أبت لا تبك فسوف أزورك كل أسبوع مرة، فقال له الوالد: إنما أنا أبكي لأني عندما تزوجت أمك ضاقت ذرعاً بأبي فذهبت به إلى دار العجزة هذه، والآن صار دوري.

- الزم رجليها فثم الجنة:

كان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوماً على أخوته فسألوه، فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة، وقد بلغنا: الزم رجليها فثم الجنة [1].

- أبخلت على جدك بهذه السجادة!:

حكى أن أحد الرجال أمر ولده أن يأخذ جده ويضعه على باب إحدى التكايا وأعطاه سجادة قديمة حتى يضعه عليها، فلما ذهب الولد إلى التكية قسم السجادة قسمين، ووضع جده على أحد القسمين ثم عاد إلى أبيه ومعه النصف الثاني، فغضب الوالد ووبخه، فقال له: أبخلت على جدك بهذه السجادة البالية! فقال له: لا والله ما بخلت بها عليه، ولكني قلت لنفسي أدخر هذا القسم من السجادة لك أضعك عليها عند كبرك، فعرف الأب جزاء عقوق الوالدين، وندم على ما فعل وعاد فأحضر أباه وأكرمه وأحسن صحبته ومعاشرته.

- قطع الله رجلك كما قطعت رجله:

روي أن الإمام المفسر الزمخشري سئل عن سبب قطع رجله فقال: أمسكت عصفوراً في صباي وربطته بخيط في رجله، وأفلت من يدي ودخل في فرق، فجذبته، فانقطعت رجله، فتألمت أمي وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله، فلما رحلت إلى بخارى لطلب العلم

---

[1] المستطرف في كل فن مستظرف (١/ ٢٥٦)

سقطت من الدابة فانكسرت رجلي، وقيل أصابه البرد في الطريق فسقطت رجله، وكان يمشي برجل من خشب .

- لا طاعة للوالدين في معصية الله :

روى أبو عثمان النهدي عن سعد بن أبي وقاص قال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد، ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتصير بي فيقال: يا قاتل أمه، قلت: لا تفعلي يا أماه، إني لا أدع ديني هذا لشيء، قال: فمكثت يوماً وليلة لا تأكل، فأصبحت قد جهدت، ثم مكثت يوما آخر وليلة ولا تأكل، فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فكلي، وإن شئت لا تأكلي . فلما رأت ذلك أكلت .

- أمها مشركة وأمرت بوصلها :

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش وجدتهم إذا عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيها فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ فقال: (نعم، صلي أمك[1]) .

- بر سيدنا أبي هريرة لأمه :

كان أبو هريرة – رضي الله عنه – في بيت وأمه في بيت، فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال: السلام عليكم يا أمتاه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرا، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرا، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله [2].

*كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة :

لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى، فقيل: ما يبكيك ؟ قال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة، وغلق أحدهما .

---

[1] صحيح البخاري (٨/ ٥).

[2] رواه البخاري في الأدب (١٨).

- ما هو بر الوالدين بعد موتهما :

عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما ؟ قال: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما[1] .

- أف : كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا :

قيل: وتستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى: لست من أهل الجنة ولا من أهل النار فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أفٍّ ، فيرجح على الحسنات، لأنها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا، فيؤمر به إلى النار[2] .

- كنت أضرب أبي في هذا الموضع :

وعن ثابت البناني رحمه الله تعالى قال: روى أن رجلاً كان يضرب أباه في موضع، فقيل له: ما هذا ؟ فقال الأب: خلوا عنه، فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع، فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع، هذا بذاك، ولا لوم عليه .

وقال بعض الحكماء : من عصى والديه لم يرَ السرور من ولده ، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته ، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشه .

- أنا لا أحرق ابني بالنار :

روي عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنه ،وكان إذا احتاج إلى شيء يأمر غيره ، فسئل عن ذلك ،فقال :إني أخاف أني لو أمرت ابني بذلك يعصيني في ذلك فيستوجب النار وأنا لا احرق ابني بالنار .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : تام المروءة من بر والديه ، ووصل رحمه وأكرم إخوانه وحسن خلقه مع أهله وولده وخدمه ، وأحرز دينه وأصلح ماله ، وأنفق من

---

[1] رواه أبو داود (٥١٤٢) وابن ماجة (٣٦٦٤) والبخاري في الأدب المفرد (٣٥) وأحمد (٣/ ٤٩٨) والحاكم (٤/ ١٥٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٨)

[2] حكايا الصوفية (١٨٦)

فضـله ، وحفـظ لسـانه ، ولـزم بيـته يعـني يكـون مقـبلاً عـلى عمـله ولا يجلـس مع أهل الفضول [1]

الأمثال:

* إلى أمه يلهف اللهفان .
* يكون الرجل في كبره كما هيأته أمه في صغره .
* إذا صلحت الأم صلحت العائلة .
* الدنيا أم .
* كل القلوب هامدة ما عدا الوالدة [2] .
* من أشبه أباه ما ظلم[3].
* من فقد أمه فقد أبويه .
* تعرف قيمه الملح عندما تفتقده ، وقيمه الأب بعد وفاته .
* الابن الصالح مسرة الوالدة .
* الأم لا تقول هل تريد بل تعطي .
* كما يكون الأب يكون الوالد .
* الأم تصنع الأمة .
* صديق الوالد عم الولد .

---

[1] تنبيه الغافلين (١٣١)

[2] معجم حكمة العرب (٤١)

[3] المرجع السابق (٤٢٤)

[باب في تربية الأولاد]

الأقوال والآثار في تربية الأولاد :

قـال ابـن عـباس رضـي الله عـنهما : ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظر رحمه إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة [١] .

وقـال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :إياكم والروايا ،روايا الكذب فإن الكذب لا يصلح بالجد ولا بالهزل ،ولا يعد أحدكم صبيه ثم لاينجز له [٢] .

وقال سليمان بن داود لابنه: يا بني إذا وعدت فلا تخلف، فتستبدل بالمودة بغضاً[٣].

وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: أمرنا أن نعلم أولادنا الرمي والقرآن [٤]

وقـال ابـن عباس رضي الله عنهما: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيا[٥].

وقال الحسن: قدموا إلينا أحداثكم فإنهم أفراغ قلوباً وأحفظ لما سمعوا [٦]

وقال الحسن بن علي لبنيه وبني أخته: تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم تكونون كبارهم غداً فمن لم يحفظ منكم فليكتب [٧]

وكـان عطـاء بـن أبي رباح يقول للغلمان: اكتبوا فمن لا يحسن كتبنا له، ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا[٨].

قال سيدنا علي كرم الله وجهه :

قلب الحدث كالأراضي الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته .

---

[١] فيض القدير (٥/ ٤٨٣)

[٢] أدب الإملاء والاستملاء (٤٠)

[٣] منهج التربية النبوية للطفل (١٧٣)

[٤] كنز العمال (٥٨٥/ ١٦)

[٥] منهج التربية النبوية للطفل (٢٢٠)

[٦] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٢٤٥)

[٧] الكفاية في علم الرواية (٢٩)

[٨] المحدث الفاصل (٣)

وقـال الإمـام الغـزالي: الولـد أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش فيه، ومائل إلى عمل ما يميل إليه، فإن عوداه الخير وعلمه وعمله نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة .

- وقـال الإمـام الشـافعي رحمـه الله تعـالى: وإياك أن تسترضي الولد إذا غضب بلين الكلام وخفض الجناح، فإن ذلك يتلف حاله ويهون عليه العقوق، بل ذكره بخطيئته وما أعدَّ لـه من العقاب عليها وإياك أن تسبه أو تشتمه، فإن ذلك يجرئه على النطق بمثله مع أخوانه، بل معـك[١] .

- قـال أبـو الليـث: إذا كـان الولد صالحاً وعلمه الأب القرآن والعلم ، فيكون أجره لوالـده مـن غـير أن يـنقص مـن أجر ولده شيء ، فإذا كان الوالد لا يعلمه القرآن ويعلمه طريق الفسق يكون وزره على أبيه من غير أن ينقص من وزره شيء[٢] .

- لا تبخل على ولدك بزيارة الصالحين :

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت:

فخرجـت وأنـا مـتم ،فأتيت المدينة فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به النبي صلى الله علـيه وسـلم فوضعته في حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيْ دخـل جوفـه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له فبرك عليه[٣]

فكر بذريتك من بعدك :

عـن سـعيد بـن المسـيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما أسمك ؟ قلت : حزن ، أنت سهل ، قال : لا أغير اسما سمانيه أبي ، قال ابن المسيب :فما زالت الحزونة فينا بعد[٤] .

---

[١] إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٢١)

[٢] تنبيه الغافلين (٩٩)

[٣] أخرجه البخاري (٧/ ١٠٨)

[٤] فتح الباري (١٠/ ٤٧٣)

- لا جور في الأولاد في الإسلام :

عـن الـنعمان بـن بشـير رضـي الله عنهما أن أمه عمرة بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لأبنها ، فالتوى بها سنة ثم بدا له فقالت : لا أرضى حتى تشهد رسول الله صـلى الله علـيه وسلم فقال : يا رسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يا بشير ، ألك سوى هذا ؟) قال : نعم ، فقال:

(أكـلهم وهبـت له مـثل هذا ؟) قال: لا، قال: (فلا تشهدني إذاً ، فإني لا أشهد على جور)[1] .

- سنة الإسلام العدل بين الأولاد .

عـن انس رضي الله عنه أن رجلا كان جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بنيُ له فأخذة فقبله ، وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنيه له فأخذها وأجلسها إلى جنبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(فما عدلت بينهما)[2] .

- صلاح الأم وحسن تدبيرها يدخلها الجنة :

وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها ومعها ابنتان لها قال :

فأعطـتها عائشة ثلاث تمرات،فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ثم أخذت تمرة لتضعها في فمهـا،قـال : فـنظرت الصـبيتان إلـيها، قال: فصدعتها نصفين،فأعطت كل واحدة منهما نصـفا وخرجـت،فدخـل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته عن عائشة بما فعلت -أو تفعل – المرأة ، قال : (فلقد دخلت بذلك الجنة)[3].

---

[1] أخرجه مسلم (٣/ ١٢٤٣)

[2] الشعب (٦/ ٤١٠)

[3] حياة الصحابة: أخرجه البزار (٢/ ٥٣١)

-أحسن إلى أولادك حتى لا يملوا بقاءك :

غضـب معاويـة على يزيد ابنه فهجره،فقال له الأحنف:يا أمير المؤمنين ! أولادنا ثمار قلوبـنا وعمـاد ظهورنا،ونحن لهم سماء ظليلة وارض ذليلة:فإن غضبوا فأرضهم،وإن سألوا فأعطهم،ولا تكن عليهم قفلا،فيملوا حياتك،ويتمنوا موتك [1]

-التربية مع العلم ثمرتها أكبر :

قـال تاج الدين السبكي كنت جالسا بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت :اخسأ كلب ابن كلب ، فزجرني الوالد من داخل البيت، فقلت:أليس هو كلب ابن كلب؟ قال شرط الجواز عدم التحقير،

فقلت : هذه فائدة [2]

- الأمثال :

* لولا المربي ما عرفت ربي .
* خميرة فاسدة عجين فاسد .
* من شب على شيء شاب عليه.
* آخرة الدلع ندامة .
* العصا من الجنة .
* غنج الحية ولا غنج البنية .
* العصا من العصا .
* الطير المربى غال .
* الدهر احسن مربي .
* الإنسان ابن التربية .
* أدب الكبير يتأدب الصغير .

---

[1] عيون الأخبار (٣/ ٩٢)

[2] رسالة المسترشدين (١٢٥).

* من أشبه أباه ما ظلم .
* زوج ابنك ساعة تشاء،وزوج ابنتك ساعة تستطيع .
* الابن الصالح مسرة الوالد .
*الولد مصباح البيت المعتم .
* من عاش بلا أولاد لم يعرف الهم،ومن مات بلا أولاد لم يعرف السرور .
* مـن كـان له أبـناء لا يمكـن أن يبقى فقيرا طويلا ، ومن ليس له أبناء لا يبقى نبيلا طويلا.
* كن لابنك معلما وهو طفل وصديقا حين يكبر .
* إذا كبر ابنك فافعله كأخ .
* إذا توازت الكتوف خلي العشرة بالمعروف .

[باب صلة الأرحام والأقارب]

-الأقوال والآثار الواردة في باب صلة الأرحام والأقارب :

قـال ابـن عمر رضي الله عنهما: من اتقى ربه، ووصل رحمه، أنسئ له في عمره، يعني يزداد في عمره وأثرى له ماله – يعني كثر – وأحبه أهله .

وكـان يقـال: إذا كـان لـك قريـب، فـلم تمشي إليه برجلك، ولم تعطه من مالك فقد قطعته .

وفي بعـض الصـحف مما أنـزل الله تعـالى: يـا ابن آدم، صل رحمك بمالك، فإن بخلت بمالك أو قلّ مالك فامش إليه برجلك.

وقال ميمون بن مهران: ثلاثة أشياء الكافر والمسلم فيهن سواء:
* من عاهدته ففـِ له بعهدك مسلماً كان أو كافراً فإنما العهد لله .
* ومن كانت بينك وبينه قرابة فصله مسلماً كان أو كافراً .
* ومن ائتمنك على أمانة فأدها مسلماً كان أو كافراً .

وقال كعب الأحبار: والذي خلق البحر لموسى عليه السلام وبني إسرائيل إنه لمكتوب في التوراة: اتق ربك، وبر والديك وصل رحمك، أمد لك في عمرك، وأيسرك في يسرك وأصرف عنك عسرك[1]

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا أظهر الناس العلم، وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالأرحام، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم .

وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي : إذا كان الرجل عند قرابته ، ولم يكن غائبا عنهم ،فالواجب عليه أن يصلهم بالهدية والزيارة ، فإن لم يقدر على الصلة بالمال ، فليصلهم بالزيارة وبالإعانة في أعمالهم إن احتاجوا ، وإن كان غائبا يصلهم بالكتابة إليهم فإن قدر على المسير إليهم ، كان المسير افضل .

واعلم أن في صلة الرحم عشر خصال محمودة :

* أولاها: أن فيها رضا الله تعالى، لأنه أمر بصلة الرحم .

* والثانية: إدخال السرور عليهم، وقد روى في الخبر إن أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن [2]

* والثالثة: أن فيها فرح الملائكة، لأنهم يفرحون بصلة الرحم .

* والرابعة: أن فيها حسن الثناء من المسلمين عليه .

* والخامسة: أن فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة .

* والسادسة: زيادة في العمر .

* والسابعة: بركة في الرزق .

* والثامنة: سرور الأموات، لأن الأباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقرابة .

* والتاسعة: زيادة في المودة، لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن يجتمعون إليه، ويعينونه على ذلك، فيكون له زيادة في المودة .

* والعاشرة: زيادة الأجر بعد موته، لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه.

---

[1] تنبيه الغافلين (١٣٥)

[2] رواه ابن ابي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج (١١٢)، وقال المناوي في فيض القدير بشواهده (٢/ ٢٥)

- وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ثلاثة نفر في ظل عرش الرحمن يوم القيامة: واصل الرحم يمد له في عمره ويوسع له في رزقه، وامرأة مات زوجها وترك يتامى فتقوم هي على الأيتام حتى يغنيهم الله أو يموتوا، والرجل اتخذ طعاماً فدعا إليه اليتامى والمساكين .

ويقال: خمسة أشياء من داوم عليها زيد في حسناته مثل الجبال الراسيات ويوسع الله عليه رزقه: من داوم على الصدقة، قلت أو كثرت، ومن وصل رحمه، قل أو كثر، ومن داوم على الجهاد في سبيل الله، ومن داوم على الوضوء ولم يسرف في صب الماء ومن أطاع والديه وداوم على طاعتهما [١]

وقال أكثم بن صيفي: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة [٢]

وقيل: من لم يصلح لأهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك [٣]

وقال علي بن أبي طالب: أكرم عشرتك ، فإنهم جناحك الذي تطير به، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها قصول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم .

وقال: تحتاج القرابة إلى مودة، ولا تحتاج المودة إلى قرابة [٤] .

وقال بعض الحكماء: بلوا أرحامكم بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق .

وقال بعض البلغاء: صلوا أرحامكم فإنها لا تبلى عليها أصولكم ولا تهضم عليها فروعكم [٥]

وكان يقال: حق الأقارب إعظام الأصغر للأكبر وحنو الأكبر على الأصغر .

وقال الأعمش: كان ابن مسعود رضي الله عنه جالساً بعد الصبح في حلقة فقال: أنشد الله قاطع الرحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا وإن أبواب السماء مرتجة مغلقة دون قاطع رحم .

---

[١] تنبيه الغافلين (١٣٩)

[٢] عيون الأخبار (٣/ ٨٨)

[٣] أدب الدنيا والدين (١٥٣)

[٤] معجم حكمة العرب (٣٤)

[٥] إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٠٣)

وورد في الأثـر: ألا أدلـك عـلى أكـرم أخـلاق الدنـيا والآخرة: أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك .

- أوصاني أن أصل رحمي :

عـن أبـي ذر رضـي الله عـنه قـال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير، أوصـاني أن لا أنظـر إلى من هو فوقي وأن لا أنظر إلى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين، والدنو عليهم وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مراً وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة [١]

- لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك :

عـن مـيمونة رضـي الله عـنها أنهـا أعتقت وليدة لها، ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسـلم فـلما كـان يومهـا الـذي يـدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت ولـيدتي ؟ قـال: (أوفعلـت؟) قالـت: نعم، قال: (أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك)[٢].

- فلك خالة ؟ قال: نعم، قال فبرها :

عـن ابـن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: إني أذنبت ذنباً كبيراً فهل لي من توبة ؟ فقال: (ألك والدان؟) قال: لا ، قال: (فلك خالة؟) قال: نعم، قال: (فبرها إذاً) [٣]

- إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني :

عـن أبـي هريـرة رضـي الله عـنه أن رجـلاً قـال: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونـي، وأحســن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي، فقال: (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)[٤]

---

[١] الترغيب والترهيب (٣/ ٣٣٧)

[٢] صحيح البخاري (٣/ ١٩٧)

[٣] مستدرك الحاكم (٤/ ١٥٥)

[٤] صحيح مسلم (١٩٨٢/٤)

- قال ثم مه قال ثم صلة الرحم :

روى أبو يعلى بإسناد جيد عن رجل من خثعم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله ؟ قال: (نعم)، قال: قلت: يـا رسـول الله! أي الأعمـال أحب إلى الله ؟ قال: (الإيمان بالله) قلت: يا رسول الله ، ثم مه؟ قـال: (ثـم صـلة الـرحم) قال: قلت يا رسول الله ثم مه ؟ قال: (ثم الأمر بالمعروف والـنهي عـن المنكر) قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله ؟ قال: (الإشراك بالله) قال: قلت: يا رسول الله ثم مه ؟ قال: (ثم قطيعة الرحم) قال: قلت: يا رسول الله ثم مه ؟ قال: (ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف) [١]

- وجب أجرك واقسمه في أقاربك :

لمـا أراد أبـو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه عملاً بقوله تعالى: [لن تنالوا البر حـتى تـنفقوا مما تحبون] [٢]قال: يا رسول الله هي في سبيل الله وللفقراء والمساكين . فقال عليه السلام: (وجب أجرك واقسمه في أقاربك) [٣]

- لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة :

روى مسـلم في صـحيحه عـن زينـب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنها قالـت: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: (تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن) قال: فرجعت إلى عبدالله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـد أمـرنا بالصـدقة فأته، فاسأله، فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال لي عبدالله: بل ائتيه أنت، فانطلقت، فإذا المرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله علـيه وسـلم، حاجتها حاجتي، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابة فخـرج علينا بلال رضي الله عنه، فقلنا له: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن

---

(١) الترغيب والترهيب (٣/ ٣٣٥)

(٢) سورة آل عمران الآية (٩٢)

(٣) رواه أبو داود في باب الزكاة: صلة الرحم (معالم السنن: ٢/ ٨٠) والترمذي في ابواب التفسير (رقم: ٣٠٠٠) وليس في الـرواتين: وحـب أجـرك وزاد البخاري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ ذلك مال رابح وذلك مال رباح، وإني ارى أن تجعلها في الآخرين.

امرأتين بالباب، يسألانك أتجزي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ولا تخبره من نحن، قالت: فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من هما ؟) فقال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أي الزيانب ؟) قال: امرأة عبدالله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة) [1]

- الحكم :

قال الشيخ أحمد الرفاعي في حكمه: قم بصلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعظم ذوي قرابته، فإن طوق منته في أعناقنا، قال تعالى: [قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى][2][3].

- الأمثال :

* صلوا قرابتكم ولا تجاوروهم .
* الأقربون أولى بالمعروف .
* رب أخ لك ، لم تلده أمك .

[باب حق الجار والوصية به]

الأقوال والآثار الواردة في باب حق الجار والوصية به :

كان داود عليه السلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من جار سوء عينه ترعاني وقلبه لا ينساني .

وقال رجل لسعيد بن العاص: والله إني لأحبك، فقال له: ولم لا تحبني ولست بجار لي ولا ابن عم .

وكان يقال: الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب [4]

وقال بعض الحكماء: من أجار جاره، أعانه الله وأجاره .

---

[1] رواه مسلم (٢/ ٦٩٤)

[2] سورة الشورى، الآية (٢٣)

[3] حكم الإمام الرفاعي ورقمها (١٨٧)

[4] بهجة المجالس وأنس المجالس (١/ ٢٨٩)

يقال: من مات وله جيران ثلاثة، كلهم راضون به، غفر له .

وقال الحسن البصري: ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ولكن حسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار.

وقال عمرو بن العاص: ليس الواصل الذي يصل من وصله ويقطع من قطعه وإنما ذلك المنصف، وإنما الواصل الذي يصل من قطعه، ويعطف على من جفاه، وليس الحليم الذي يحلم عن قومه ما حلموا عنه، فإذا اجهلوا عليه جاهلهم وإنما ذلك المنصف، إنما الحليم الذي يحلم إذا حلموا فإذا جهلوا عليه حلم عنهم .

وروى عن سفيان الثوري أنه قال: عشرة أشياء من الجفاء :

١- رجل أو امرأة يدعو لنفسه، ولا يدعو لوالديه ولا للمؤمنين .

٢- رجل يقرأ القرآن، ولا يقرأ في كل يوم منه آية .

٣- رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين .

٤- رجل يمر على المقابر ولم يسلم عليهم ولم يدع لهم .

٥- رجل دخل المدينة في يوم الجمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة .

٦- رجل أو امرأة نزل في محلتها عالم، ولم يذهب إليه أحد، ليتعلم منه شيئاً من العلم.

٧- رجلان ترافقا ولم يسأل أحدهما عن اسم صاحبه .

٨- رجل دعاه رجل إلى ضيافة فلم يذهب إلى الضيافة .

٩- شاب يضيع شبابه وهو فارغ ولم يطلب العلم والأدب .

١٠- رجل شبعان وجاره جائع، ولا يعطيه شيئاً من طعامه .

- وقال الفقيه السمرقندي رضي الله تعالى عنه :

تمام حسن الجوار في أربعة أشياء: أولها: أن يواسيه بما عنده، والثاني: أن لا يطمع فيما عنده، والثالث: يمنع أذاه عنه، والرابع: أن يصبر على أذاه [١]

- وكان عدي بن حاتم رضي الله عنه يفتت الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات، ولهن علينا حق الجوار .

---

[١] تنبيه الغافلين (١٤٤)

- وقال علي بن أبي طالب للعباس: ما بقي من كرم إخوانك ؟ قال: الإفضال إلى الإخوان وترك أذى الجيران [1] .

وروى المروزي عن الحسن : ليس حسن الجوار كف الأذى، حسن الجوار الصبر على الأذى.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: ومذهب أحمد ومالك أن يمنع الجار أن يتصرف في خاص ملكه بما يضر بجاره، فيجب عندهما كف الأذى عن الجار بمنع إحداث الانتفاع المضر به ولو كان المنتفع إنما ينتفع بخاص ملكه[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتين من الأنصار صالحين ألا تنزل بين أبويها [3]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك [4].

- وقال ابن عمر رضي الله عنهما :

لقد أتى علينا زمان - أو قال حين وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب ! هذا أغلق بابه دوني، فمنع معروفه)[5]

- وقال ابن حجر رحمه الله: ثم الأمر بإكرام الجار يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحباً، ويجمع الجميع أنه من مكارم الأخلاق[6] .

---

[1] الآداب الشرعية (٢/ ١٨)

[2] جامع العلوم والحكم (١/ ٣٥٣)

[3] عيون الأخبار (٣/ ٢٣)

[4] الآداب الشرعية (٢/ ١٨)

[5] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١١)

[6] فتح الباري (١٠/ ٤٦٠)

- وقال ابن رجب رحمه الله: ومذهب أحمد أن الجار يلزمه أن يمكن جاره من وضع خشبة على جداره إذا احتاج الجار إلى ذلك، ولم يضر بجداره[1] .

- وقال: يجب عند أحمد أن يبذل لجاره ما يحتاج إليه ولا ضرر عليه ببذله[2] .

وقال علي كرم الله وجهه: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق [3].

وقال: ليس من حسن الجوار ترك الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى[4].

وجملة حق الجار : أن يبدأ بالسلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته، ولا يطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاماً، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته ويتطلف لولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه [5]

- ألف للدار وألف لجوار عبدالله بن المبارك :

كان لعبد الله بن المبارك جار يهودي، فأراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم تبيع؟

قال: بألفين. فقيل له: لا تساوي إلا ألفاً، قال: صدقتم، ولكن ألف للدار، وألف لجوار عبدالله بن المبارك، فأخبره ابن المبارك بذلك، فدعاه، فأعطاه ثمن الدار، وقال: لا تبعها .

- ترك بيته لسوء جاره :

ها هو أحدهم يبيع داره، ويرحل عن المكان الذي كان يسكنه، وما اضطره إلى البيع والرحيل إلا وجود جار سيئ الجوار، فلامه الناس على فعلته، فقال يرد عليهم :

---

[1] جامع العلوم والحكم (١/ ٣٥٢)

[2] المرجع السابق (١/ ٣٥٣)

[3] بهجة المجالس (٢/ ٨١)

[4] معجم حكمة العرب (٩٩)

[5] موعظة المؤمنين (٢٢٩)

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ولم يعلموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم: كفوا الملام فإنما بجيرانها تغلو الديار وترخص

*بكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟ :

ورد أنه باع أبو الجهم العدوي داره بمائة ألف درهم، ثم قال: بكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟ قالوا: وهل يشترى جوار قط ؟ قال: ردوا على داري، وخذوا مالكم، لا أدع جوار رجل إن قعدت سال عني، وإن رآني رحب بي، وإن غبت حفظني، وإن شهدت قربني، وإن سألته قضى حاجتي وإن لم أسأله بدأني، وإن نابتني نائبة فرج عني، فبلغ ذلك سعيداً، فبعث إليه بمائة ألف درهم [١]

*هل أهديتم منها لجارنا اليهودي :

من عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ذبح شاه فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي ثلاث مرات، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه[٢]) .

* بعت دارك قال: بل بعت جاري :

كان لأبي الأسود الدؤلي بالبصرة دار، وله جار يتأذى منه في كل وقت، فباع الدار، فقيل له: بعت دارك، قال: بل بعت جاري، فأرسلها مثلاً [٣].

الأشعار في باب حق الجار والوصية به :

* قال سربد بن أبي كامل يمدح قومه :

لا يخاف الغدر من جاورهم أبداً منهم ولا يخشى الطبع [٤]

* وتقول الخنساء تمدح أخاها :

---

[١] وفيات الأعيان (٢/ ٢٣٥)

[٢] رواه احمد (٢/ ١٦٠) وأبو داود (٥١١٢) والترمذي (١٩٤٣) والبخاري في الأدب (١٠٥)

[٣] وفيات الأعيان (٣/ ٥٣٧)

[٤] الطبع: ما يعابون به، وأصل الطبع تلطخ العرض

ولا يقـوم إلى ابـن العم يشتمه   ولا يَـدِبُ إلى الجـارات تحويـدا[1]

* وقال فيه :

لم تره جارته يمشي بساحتها   لريبة حين يخلي بيته الجار [2]

* وقال المثقب العبدي :

أكـرم الجـار وأرعـى حقـه   إن عـرفان الفـتى الحـق كـرم

* وقال مسكين الدارمي :

نـاري ونـار الجار واحدة   وإلــيه قلــبي تــنزل القــدر[3]

* وقال النابغة الذبياني :

لا يــبعد الله جيرانــاً تركـــتهم   مـثل المصـابيح تجلـو ليلة الظلم

لا يـبرمون إذا مـا الأفـق جلـله   بـرد الشـتاء مـن الإمحـال كـالأدم [4].

* وقال عنترة بن شداد :

وإنـي لأحمـي الجار من كل ذلة   وأفـرح بالضـيف المقـيم وأبهـج [5]

* وقالت الخنساء تمدح أخاها بحمايته جاره :

وجارك محفوظ منيع بنجوة   من الغيم لا يؤذي ولا يتذلل[6]

• الحكم :

* قال لقمان الحكيم في حكمه :

---

[1] ديوان الخنساء(٤٠)

[2] ديوان الخنساء(٤٩)

[3] الشعر والشعراء (١٣٢)

[4] ديوان النابغة الذبياني (٧٥)

[5] ديوان عنترة (٣٧)

[6] ديوان الخنساء (١١٣)

يـا بني: لقد حملت الحجارة والحديد والحمل الثقيل؟، فلم أجد شيئاً قط أثقل من جار السوء .

***الأمثال :**

١- صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث من لا تعرفه[1] .

٢- بعت جاري ولم أبع داري .

٣- إني كنت راغباً في الدار إلا أن جاري أساء مجاورتي، فبعت الدار من أجله .

٤- قد يؤخذ الجار بذنب الجار .

٥- اسأل عن الجار قبل الدار .

٦- الجار موصى بالجار .

٧- جارك القريب ولا أخوك البعيد .

٨- رد الخير على جارك تلاقه في ديارك .

[باب الإصلاح بين الناس وتحريم الهجران بينهم]

الأقوال والآثار الواردة في باب إصلاح ذات البين وتحريم الهجران :

روى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال:

من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها :

١- من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعصي بالنهار .

٢- من أراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه .

٣- من أراد فضل العلماء فعليه بالتفكير .

٤- من أراد فضل المجاهدين والقراءة وهو قاعد في بيته فليجاهد الشيطان .

٥- من أراد فضل الحج فليزم الجمعة .

٦- من أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ما سمع من العلم .

٧- من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع بينهم العداوة والبغضاء .

---

[1] الآداب الشرعية (٢/ ٢٠)

٨- من أراد فضل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه ما يرضى لنفسه[١].

* وعن أنس رضي الله قال: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة[٢].

* وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم [٣].

* عفا عن أخيه فأدخلهما الله الجنة :

عن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب، خذلي مظلمتي من هذا، فقال: الله تعالى للطالب: كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء ؟ فقال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال: فيقول الله تعالى – أي للمتظلم – ارفع بصرك فانظر في الجنان، فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي بني هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد ؟ قال الله تعالى: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب من يملك ذلك ؟ قال: أنت تملكه، قال: لماذا يا رب ؟ قال: بعفوك عن أخيك ؟ قال: يا رب قد عفوت عنه، فيقول الله تعالى : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة) [٤].

* نذرت ألاّ تكلمه ثم : أعتقت بنذرها أربعين رقبة :

قال عبدالله بن الزبير: لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، وصل الخبر لعائشة رضي الله عنها فقالت: هو لله على نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدا، وقد كانت عائشة رضي الله عنها لا تمسك شيئا، فما جاءها من رزق الله تصدقت به، سواء كان عطاء أم كان عقاراً، فتبيعه وتتصدق بثمنه .

---

[١] تنبيه الغافلين (٥٢١)

[٢] الترغيب والترهيب (٣/ ٤٨٩)

[٣] تنبيه الغافلين (٥٢٣)

[٤] تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٥)

وعـندما وصـل الخبر لابن الزبير استشفع إليها بالمهاجرين حين طالت الهجرة منها له أن تعفو عنه وتكلمه، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبدا، ولا أتحنث في يميني.

فـلما طـال عـلى ابـن الزبير هجرانها كلم الميسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود وهمـا مـن بني زهرة، فكلمانه استشفع إليها بأخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لها: أسألكما بالله لما أدخلتماني عليها ؟

فإنه لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فهو ابن أختها أسماء، وكانت تتولى تربيته وبه كنيت، فسـألهما أن ؟؟؟ علـيه بأرديـتهما حـتى اسـتأذنا عـلى عائشة رضي الله عنها فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل ؟ قالت عائشة: أدخلوا، قالوا: كلنا ؟ قالت: نعم، ادخلوا كلكـم – وهـي لا تعـلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب، وأعتق عائشـة وطفـق يناشـدها الله والرحم، ويبكي فبكى إليها وبكت إليه، وقبلها، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته٩ وقبلت منه ويقولان لها إن النبي صلى الله عليه وسلم نهـى عمـا قد عملت من الهجرة، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة بما جاء في فضل صلة الرحم والعفو وكظم الغيظ والتحريج لما ورد في القطيعة من النهي، طفقت تذكرهما نذرها وتـبكي وتقـول لهما: إني نذرت أن لا أكلمه، والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الـزبير وأعتقـت في نذرهـا ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها .

إن قلت: نذر ترك الكلام الصادر عن عائشة رضي الله عنها في حق ابن الزبير يقضي إلى الـتهاجر، وهـو حرام أو مكروه ! وأجيب أن عائشة رأت أن ابن الزبير ارتكب بقوله – لأحجـرن علـيها – أمراً عظيماً لما فيه من تنقيصها، ونسبته لها إلى التبذير الموجب لمنعها من التصـرف، أضف إلى ذلك كونها أم المؤمنين وخالته أخت أمه، فكأنها رأت الذي صدر منه نـوع عقـوق، فهـو في معـنى نهيه صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلام كعب ابن مالك وصاحبيه لتخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر عقوبة لهم[1] .

---

[1] إرشاد الساري (٣/ ٥٦)

الأشعار:

قال الشاعر:

أغمض للصديق عن المساوي مخافة أن أعيش بلا صديق[1]

وقال آخر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

وقال آخر:

كأنما بما يأتي من الأمر جاهل أغمض عيني عن صديق تغافلاً

تطيق احتمال الكره فيما يحاول وما بي جهل غير أن خليقتي

متى ما يريني مفصل فقطعته بقيت وما لي في النهوض مفاصل[2]

[باب ذكر الموت وقصر الأمل]

الأقوال والآثار الواردة في باب ذكر الموت وقصر الأمل:

* قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من أكثر من ذكر الموت رضي بالدنيا باليسير.

* قال الحسن: إن الموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لب بها فرحا.

* قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: احرص على الموت توهب لك الحياة[3].

* وقال سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه: لا يتمنى الموت إلا ثلاث: رجل جاهل ما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله عليه، أو مشتاق لقاء الله تعالى[1].

---

[1] عيون الأخبار (٣/ ١٦)

[2] بهجة المجالس (٦/ ٦٦٩)

[3] معجم حكمة العرب (٢٩١)

- وقال إبراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل .

وكـان داود علـيه السـلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه .

وقـال مطـرف بـن عـبدالله الشخير: إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه [٢].

- وكان سليمان الفارسي رضي الله عنه يقول :

إذا رشـح جـبين المؤمـن عند الموت وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهو في رحمة الله قد نزل، وإذا غط غطيط المخنوق وخمد لونه وأزبدت شفتاه فهو في عذاب الله قد نزل [٣].

وكان سفيان الثوري يقول: ما استعد للموت من ظن أنه يعيش غداً .

وقال: الطاعات تتفرع عن ذكر الموت، والمعاصي تتفرع عن نسيانه .

وقـال حـاتم الأصـم: مـن خرجـت في داره جـنازة ولم يعتـبر لها علم ولا حكمة ولا موعظة[٤].

وقال: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ وقدر العافية لا يعرفه إلا أهل البلاء، وقدر الصحة لا يعرفه إلا المرضى، وقدر الحياة لا يعرفه إلا الموتى.

وقـال حكـيم: ثلاثـة لـيس للعـاقل أن ينساها: فناء الدنيا وتصرف أحوالها، والموت، والآفات التي لا أمان له منها [٥].

قال شفيق بن إبراهيم: وافقني الناس في أربعة أشياء قولاً، وخالفوني فيها فعلاً :

* الأول: أنهم قالوا: إنا عبيد الله تعالى، ويعملون عمل الأحرار .

* والثاني: قالوا: إن الله كفيل لأرزاقنا، ولا تطمئن قلوبهم إلا مع شيء من الدنيا.

---

[١] حكايا الصوفية (٢٤٨)

[٢] مكاشفة القلوب (١٣٥)

[٣] تنبيه المغتربين (٧٠)

[٤] المرجع السابق (٧٣)

[٥] تنبيه الغافلين (٣٩)

* والثالث: قالوا: إن الآخرة خير من الدنيا، وهم يجمعون المال للدنيا ويجمعون الذنوب للآخرة .

* والرابع: قالوا: لابد لنا من الموت، ويعملون أعمال قوم لا يموتون[1] .

وقال علي كرم الله وجهه: إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موت على فراش[2] .

وكانت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز تقول: والله ما سم عمر ولا قتل، كما قيل، وإنما مات من خشية الله وخوف النار .

وروى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني، وثلاث أحزنتني حتى أبكتني: فأما الثلاث التي أضحكتني:

١- مؤمل الدنيا والموت يطلبه، يعني يطيل أمله، ولا يتفكر في الموت .

٢- غافل، وليس بمغفول عنه، يعني يغفل عن الموت، وبين يديه القيامة .

٣- ضاحك ملء فيه، لا يدري الله ساخط عليه أم راضي عنه ؟

وأما التي أبكتني :

١- فراق الأحبة، يعني موت محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

٢- هول المطلع، يعني نزول الموت .

٣- الوقوف بين يدي الله، لا أدري إلى أين يأمر بي ربي، إلى الجنة أم إلى النار ؟

وعن علي كرم الله وجهه يقول: إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا[3].

* يقال: ما من مؤمن يموت إلا وقد عرضت عليه الحياة، والرجوع إلى الدنيا، فيكره الرجوع لما لقي من شدة الموت إلا الشهداء، فإنهم لم يجدوا شدة الموت، فيتمنون الرجوع لكي يقاتلوا ثانياً فيقتلوا ثانياً[4] .

---

[1] المرجع السابق (٤٠)

[2] إحياء علوم الدين (٦/ ٩٢)

[3] موعظة المؤمنين (١/ ٤٧٢) رواه ابن أبي الدنيا .

[4] تنبيه الغافلين (٤١)

* وقال الفقيه السمرقندي: طوبى لمن رزقه الله اللهم وأيقظه من سنة الغفلة، ووفقه للتفكير في أمر خاتمته[1] .

وقال: ينبغي للعاقل أن ينتبه من رقدة الغفلة، وعلامة من انتبه من رقدة المغفلة أربعة أشياء:

١- أن يدبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف .

٢- أن يدبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل .

٣- أن يدبر أمر الدين بالعلم والاجتهاد .

٤- أن يدبر أمر الخلق بالنصيحة والمداراة .

ويقال: أفضل الناس من كان فيه خمس خصال:

١- أن يكون على عبادة ربه مقبلاً .

٢- أن يكون للخلق ظاهراً .

٣- أن يكون الناس من شره آمنين .

٤- أن يكون عما في أيدي الناس آيساً .

٥- أن يكون للموت مستعداً[2].

- قال إلى أين يذهب بي ؟

قيل مرض إعرابي فقيل له: إنك تموت، قال: إلى أين يذهب بي ؟ قالوا: إلى الله تعالى، قال: فكيف أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه[3] ؟

- حضرت الوفاة رجلاً فقال: إلهي :

قيل: حضرت الوفاة رجلاً فقال: إلهي إن الملوك إذا شابت عبيدهم أعتقوهم ورحموهم ولم يكلفوهم ما لا يطيقون، وإني شبت وضعفت وكبر سني في توحيدك، وأنت ملك الملوك، يا أرحم الراحمين وجسمي لا يطيق النار فلا تكلفني ما لا أطيق[1].

---

[1] المرجع السابق (٤٢)

[2] تنبيه الغافلين (٤٤)

[3] حكايا الصوفية (٢٤٨)

- كيف استقبل سيدنا أبو بكر الموت :

قال عبدالله اليمني – مولى الزبير بن العوام - : لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه تمثلت عائشة رضي الله عنها بهذا البيت :

أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى إذا حشرجت وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي: [وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت فيه تحيد] [٢]، انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما، ثم كفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت[٣] .

* رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة :

قيل لبكير الدينوري – خادمه -: ما الذي رأيت منه ؟ يعني عند وفاته فقال: قال: علي درهم مظلمة، قد تصدقت عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضئني الصلاة، ففعلت، فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسك على لسانه، فقبض على يدي، وأدخلها في لحيته، ثم مات، فهذا رجل لم يفته – في آخر عمره – أدب من آداب الشريعة[٤].

* حسن أعمالك فإنك لا تعلم متى يكون الأجل :

قيل: سئل عزرائيل (ملك الموت) عليه السلام: هل ضحكت قط ؟ قال: نعم ضحكت مرة وبكيت أخرى لرجل ساوم على حذاء لا يبلى قبل خمس سنوات وقد قبضته وهو يساومه، وبكيت لامرأة لها يتيمان من أبيهما صغيران أرادت اجتياز نهر فأخذت أحدهما ووضعته على ضفة ورجعت لأخذ الآخر فغرقت، فبكيت لغرقة الطفلين الصغيرين وموت أمهما، فأطلعني الله أن أحدهما سيكون ملكا بالمشرق والآخر ملكا بالمغرب، والله سبحانه وتعالى هو مصرف الأمور ولا رب غيره[٥] .

---

[١] حكايا الصوفية (٢٥٥)

[٢] سورة ق، الآية (١٩)

[٣] طبقات ابن سعد (٣/ ١٩٢)

[٤] طبقات الأولياء (٢١٢)

[٥] المرجع السابق (٢٦٢)

*** حتى الملائكة لم تستطع تأخير أجله :**

ذكر النسقي في (زهرة الرياض): إذا دنت منية العبد نزل عليه أربعة من الملائكة فيقول الأول: السلام عليك يا عبدالله قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك خطوة تخطوها، ثم يقول الثاني: السلام عليك يا عبدالله قلبت أنهار الدنيا فلم أجد لك شربة، ثم يقول الثالث: السلام عليك يا عبدالله قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك لقمة فيها، وقال الرابع: السلام عليك يا عبدالله قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك نفساً تتنفس به [١].

- كن على الحق ولا تبال على أي جنب يكون في الله مصرعك :

عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنه بعث إليهم – أي الذين ثاروا عليه وأشعلوا الفتنة – فقال لهم: ما تريدون مني ؟ قالوا: أن تخلع نفسك، قال: لا أخلع سربالاً سربلينه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل: فهم قاتلوك، قال: لئن قتلوني لا يتحامون بعدي، فلما اشتد عليه الأمر أصبح صائماً يوم الجمعة، فلما كان في النهار قام فقال: رأيت الآن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنك تفطر عندنا الليلة، فقتل من يومه [٢].

- ما لهذا نسعى طول عمرنا :

روي أن بعضهم ضحك عند الموت وقال: [لمثل هذا فليعمل العاملون][٣]وبعضهم بكى وقال: ما لهذا نسعى طول عمرنا، وأراد تجلي الله تعالى عند ذلك . فإذا كان حال أرباب الأحوال هكذا فما ظنك بأحوال غيرهم ؟[٤]

*** ألا أتتكم الساعة فخذوا حذركم :**

ورد (في روح البيان) في سورة الجاثية تحت قوله تعالى: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن تجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم)[١] قال: وفي

---

[١] نزهة المجالس (١/ ٧٢-٧٣)

[٢] الرياض النضرة (٣/ ٦٧)

[٣] سورة الصافات، الآية (٦١)

[٤] حكايا الصوفية (٢٥١)

بعض الكتب السابقة: إن لله منادياً ينادي كل يوم: أبناء الخمسين زرع دنا حصاده، أبناء الستين هلموا إلى الحساب، أبناء السبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟ أبناء الثمانين لا عزر لكم اليوم، ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ؟ وتجالسوا بينهم فتذكروا أعمالهم ألا أتتكم الساعة، الأكرمين فلا تخف .

فسألك يا رب أن تكرم ضيافتنا حين تأتيك يا أرحم الراحمين [٢].

* يا من لا يزول ملكه أرحم من قد زال ملكه[٣] :

قال ابن كثير : لما احتضر الواثق بالله جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الخلق مشترك لا سوقة منهم يبقى ولا ملك

ما ضل أهل فليل في تفارقهم وليس يفنى عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت، ثم ألصق هذه بالأرض، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه أرحم من قد زال ملكه .

* ما يبكيك يا أبا هريرة :

ورد أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه بكى في مرضته، فقيل له: ما يبكيك ؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بعد سفري، وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبطة على جنة ونار، لا أدري أيهما يؤخذ بي [٤].

* لماذا يبكي عامر بن قيس عند الموت ؟ :

لما حضر عامر بن قيس الوفاة بكى وقال: إني لم أبك جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكني أبكي على عدم قضاء وطري من طاعة ربي وقيام الليل في أيام الشتاء [٥].

---

[١] سورة الغاشية الآية (١٣١)

[٢] حكايا الصوفية (٢٥١)

[٣] البداية والنهاية (١٠/ ٣٦٣)

[٤] حلية الأولياء (١/ ٣٨٣)

[٥] المرجع السابق (٦٧)

* سيدنا عمر يرفض تولية ولده بعده :

دخل جماعة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مطعون، قالوا له: استخلف ولدك عبدالله بعدك فإنه عبد صالح فقال رضي الله عنه: أما يكفي من آل خطاب واحد يأتي يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه[1] .

* الأشعار في باب ذكر الموت وقصر الأمل :

قال الشاعر :

فــاسمع بــه في أشــرف الأوطــان   إن الـردى ديـن علـيك قضـاؤه

مـن فات أسباب الردى يوم الوغى   لحقـته في أمـن يـد الحدثـان

* وقال أبو العتاهية :

لا بـارك الله فـيمن كان يخبرني   أن المحـــبين في لهـــو ولـــذات

لموتـه تـأخذ الإنسـان واحـدة   خـير له مـن لقـاء المـوت مـرات [2]

هـي القـناعة لا تـبغي بهـا بـدلا   فــيها النعــيم وفــيها راحــة الـبدن

انظـر لمـن ملـك الدنـيا بأجمعهـا   هـل راع مـنها بغير القطن والكفن ؟ [3]

فلـــو أنـــا إذا متـــنا تركـــنا   لكـــان المـــوت راحـــة كـــل حـــي

ولكـــنا إذا متـــنا بعثـــنا   فنســـأل بعـــده عـــن كـــل شـــيء [4]

---

[1] تنبيه الغافلين (٧١)

[2] أخبار النساء (٤٩)

[3] المرجع السابق (١٥)

[4] المرجع السابق (٣٨٥)

***الحكم في باب ذكر الموت :**

من الحكم الرفاعية :

ثقل مرض الموت أول قناطر المعرفة بالله عند المحجوبين، ولهذا قيل لنا: موتوا قبل أن تموتوا .

حضرة الموت تكشف الحجب، كما ورد: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا [1].

***ومن الحكم العربية :**

١- أفق قبل أن يحفر ثراك .

٢- كفى بالموت نأيا واغتراب .

٣- ذكر الموت جلاء القلوب [2].

الأمثال :

١- الموت في الجماعة طيب .

٢- الموت أقرب من الحاجب للعين .

٣- الموت يساوي بين الجميع[3] .

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره، واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ينتظر، وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

[1] من حكم الإمام الرفاعي ورقمها (١٢) – الناس ينام، من كلام (سخل المستدي) وقيل من كلام علي ابن أبي طالب وتمامه: وإذا انتبهوا ندموا وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم كشف الخفاء (٢/ ٣١٢)

[2] معجم حكمة العرب (٣٩٢)

[3] المرجع نفسه

الفهرس

باب ذكر الموت وقصر الأمل: الأقوال والآثار الواردة في باب ذكر الموت وقصر الأمل	

الرواد للطباعة والنشر والتوزيع

عمان - شارع السلط - مجمع الفحيص التجاري
هاتف: ٤٦٢٨٤٥٥ فاكس: ٤٦٢٨٤٥٥
ص.ب ٧٦٤٩ الرمز البريدي ١١١١٨